

الهجاء

— (تصدو في الاستانة . جارى الاول سنة ١٣٣١) —

استيذان القرآن

(١)

الحافظ وكذا كتب لابي بكر عمرو بن حزم (ان انظر ما كان من حديث الرسول اوسنته او حديث عمر او نحو هذا فاكتبه لى فاني خفت درس العلم وذهاب العلماء) اذ اعلمت ذلك ادركت ان الحديث لم يدون الا بعد مضي نحو مائة سنة من الهجرة النبوية وما كانت السنة قبل ذلك العهد الا ما كان يتناقله الاجيال شفاهوا ويتناوله الخلف عن السلف . فكيف لشئ من ذلك ان يبلغ منزلة القرآن الذي كان محفوظا في الصدور مدونا في المصاحف منذ عهد النبوة والخلفاء الراشدين لاسيما وليس من تلك الاحاديث ماروى متواترا سوى القليل النادر ومما بنى عليه المتغالون في تجويز القول بالنسخ دون تخرج ولا تقييد قوله تعالى (يحو الله ما يشاء ويثبت) وقد اوضحنا هذه الآية في رسالة الاسلام دين الفطرة بما لم يبق معه شائبة غموض . ولقد يحمل

بناها ان نقتبس ماجاء لنا في تلك الرسالة فدوكت نصه

ولعلك تتطلع نفسك الى تفهم معنى المحو والاثبات هنا فنقول
قبل ان نحقق لك معناها نذكر الآية تمامها ليتجلى لك معناها .
قال تعالى (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية .
وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله . لكل أجل كتاب . يحو
الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) انقسم اهل الكتاب على النبي
(ص) فمنهم احزاب كانوا يفرحون بما انزل عليه من الاحكام . وكان فريق يستجيب
ما كان يفعله المصطفى (ص) من التزوج والاكل والشرب ونحوها من اعمال
الدنيا (وقالوا ما لهذا الرسول يا كل الطعام ويمشى في الاسواق)

وكانوا كلما سألوا الرسول شيئا من الآيات الخارقة للعادة كا غاضة
المياه ونقل الجبال واحياء الموتى لا يجيبهم الى شيء من مطالبهم
واقترحاتهم كما قدمنا فكانوا لذلك يستضعفونه وينزلون من شأنه ويعتبرونه
عاجزا لا ينبغي له ان يدعى النبوة فرد الله على أولئك القوم وبين لهم
ان تلك الاشياء لا تنافي الرسالة في شيء فقال (ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك - كآدم و ابراهيم وموسى وداود - وجعلنا لهم ازواجا وذرية) ثم
بين ان التصرف في الكون والاتيان بخوارق العادات ليس الا لله
تعالى فقال (وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله) الذي هو خالق
كل شيء فهو الذي يحو ما يشاء محو ويثبت ما يشاء اثباته طبقا لما سبق
في علمه القديم كما يدل عليه قوله (وعنده ام الكتاب) اذ معنى ام
الكتاب اصله واصله هو العلم القديم الذي لا تتعلق قدرة ولا ارادة بشيء

الا طبقا له ،

وبالجملة انه لم يقصد من قوله تعالى يحو الله ما يشاء ويثبت الا مجرد
تاكيد ما استفيد من قوله قبل ذلك (وما كان لرسول ان يأتي بآية الا
باذن الله) اهـ .

ومما اسلفنا هنا يتبين لك انه لا علاقة بين هذه الآية وبين نسخ
الاحكام اصلا .

والخلاصة

- (١) ان النسخ معناه الغاء بعض الاحكام العملية غير المؤبد
- (٢) ان النسخ جائز عقلا ثابت فعلا تقتضيه الحكمة والمصلحة
- (٣) ان التوراة والانجيل تطرق اليهما النسخ من طريق القرآن الكريم
بل وباحكام الحواريين وماهى بالاحكام الالهية . وكذلك قد نسخ الانجيل
بعض احكام التوراة
- (٤) ان القرآن لم ينسخ من احكامه سوى القليل جدا كما بسطناه في
تعلينا تنا على الايات التي استمسك بها القائلون بالنسخ
- (٥) ان القول بجواز نسخ القرآن تلاوة لاحكاما قول من لا يفقهون
- (٦) ان تجويز ان يكون بعض آى القرآن نسخا اعتمادا على مجرد ما روى
من الاحاديث بالغة في الصحة ما بلغت قول المسرفين على انفسهم الجانبين
على قرآنهم ودينهم وهم لا يشعرون .

هذا مجمل قولنا في النسخ فليتبدره المنصفون (١)

(١) اننا نتقبل من طلاب العلم المنصفين كل ما يقدمون لنا من المناقشة بما
لا يخرج عن دائرة المقولات ولا يتجاوز حدود آداب البحث

هذا ولنرجع بك الى تفسير الآيات الكريمة فنقول قد قص الله علينا فيما يقص من انباء اهل الكتاب ان كثيرا منهم ودوا لو استطاعوا ان يردوا المسلمين عن دينهم لا لانهم يجهلون معنى الاسلام ولا لانهم التبس الامر عليهم فلم يفرقوا بين الحق والباطل فقد تبين لهم الحق واضحا وفقهوا ما جاء به الاسلام من الكمال والهداية الى سعادتي الدارين. ولكنهم كانوا اهل الكتاب والدرس ومصدر الحكمة والرأى فعز عليهم ان يقتفوا اثر رجل عرف قبل البعثة بالجهل والامية حسدا من عند انفسهم وحرصا على ما احرزوه من الجاه والمكانة بين العرب ان يسوى الاسلام بينهم وبين غيرهم فلا يمتازوا اذا عن احد سواهم الا بالعافية والتقوى

صدفهم عن المسلمين رغبتهم ان تزول نعمة الله وهي الاسلام عن هؤلاء الموحدين. ولكم بيتوا ودبروا وآمروا ولكن القرآن الكريم كان يكشف مستور مكرهم فوق الاسلام والمسلمين شر كيدهم.

وقد امر المسلمون بآية (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامرهم) ان يقابلوا اذاهم بالعفو وكيدهم بالصفح حتى يأتي الله بامرهم وقضائه الفصل فيهم وما كان ليعجزه يوم ما امرهم وهو القدير على كل شيء

ومن عرف ما يأتي الحاسدون من ضروب المكاييد وصنوف الاذى فهم اجمالا مبلغ ما كان يفعل اهل الكتاب مع المسلمين ورسولهم الامين صلوات الله عليه بعد اذ اخذ الحسد بمجامع قلوبهم وضاعف الحقد غلة

صدرهم. وكتب السير والتاريخ مملوءة بالحوادث والعبر والامثال الشارحة لذلك. ومن شاء فبين ايدينا من نتائج الحسد وسيئاته الشيء الكثير.

اذا كان الحاسد هو الذي يتمنى ان تزول النعمة عن غيره فاذا عسى ان يكون حال الحاسد وماذا عسى ان يفعل؟

يكبره الحاسد ان يتقلب محسوده في شيء من نعم الله تعالى فاذا رآه وجيها او ذاملا او مشهورا بعلم او فضل حرق انيابه عليه غيظا وحقدا فلا يرضى حتى يزول عن المحسود ما هو فيه من بركة وخير.

ومن الجلي ان مبعث اعمال الجوارح هو ما يقوم بالنفس من الانفعالات والاهتياجات. فاذا احتاجت النفس بداع من دواعي السرور او الحزن او الارتياح او الغضب فان تلك السورة النفسية قد تدفع الجوارح والاعضاء الى اكتساب ما ترغب فيه تلك النفس المنفعلة ولا يقعد بالانسان للنفعلة نفسه عن اجابة مطالب حركة مجموعته العصبية الا احد امرين اما التفكير في عواقب ما يجترحه او الايقان بادئ الرأي بعجزه عن شفاء نفسه وارضاء شهوة غضبه.

فاذا كان الانسان عصبى المزاج سريع التأثر كانت حالته العصبية هذه خليفة ان تدفعه الى استخدام جوارحه فيما يقتضيه احتياج نفسه وسورتها قبل ان يجد عقله الزمن الكافي للتفكير وزنة ما يأتيه من الاعمال. ولهذا نجد سراع الرضا وسراع الغضب سراع الندم سراع كل حركة تقريبا. ذلك لان الانسان بمقدار تنبه مجموعته العصبية وحركتها تكون حركة جوارحه

وسرعة اعماله. فمالجوارح والاعضاء الامظاهر تلك الآثار التي تقوم بالنفس متولدة من تلك الانفعالات والاهتياجات. ولهذا كان لابد من التسامح واللين في معاملة اصحاب الامزجة المصبية الذين قد تبدر منهم البوارد القولية او العملية غير مقرونة بالارادة والاختيار ولا مسبوقة بالتفكير والاعتبار. ومن هنا كان طلاق الاغلاق الذي ينطق به الانسان في غضب مطبق لا يقع شرعا.

ولنرجع الى الكلام فيما كنا بصددده فنقول ان الحاسد كلما رأى المحسود في شيء من العيش الرغد او المنزلة العالية مثلاً تأكل صدره عليه حقدا وغلا. وكما تتخلص نفس الحاسد من آلامها وسورة نكدها تدفع الجوارح والاعضاء الى عمل كل ما من شأنه ايقاع الاذى بالمحسود وتجريده من الخلة والميزة التي كانت مبعث نكده وآلامه.

فاذا كان مبعث الحسد مالم يحسود من الشهرة ونباهة الذكر يأخذ الحاسد يشهر بالمحسود ويخلق له من السوءات والمثالب ما يحاول به اطفاء نوره وطمس آثاره. ولقد يتوهم بعض الحساد نباهة شأن بعض الناس وانتشار آثار فضيلتهم في الافاق على انهم لم يكونوا في الواقع كذلك فيدفعه حسده الى الخوض في امرهم ونشر الافتريات عليهم ومحاولة هدم رفيع ذكرهم الموهوم فينبه اليهم بذلك الافكار وينشر ذكركم في كل مكان وبذلك ينقمهم من حيث اراد ايذاءهم ويعرفهم من حيث يريد تنكيرهم ومن هذا المعنى قول الشاعر.

واذا اراد الله نشر فضيلة بياض طويت اتاح لها لسان حسود

وقد يكون مبعث الحسد مالم يحسود من المال الوفور والضيع والعقار مظاهر النعيم والترف فهناك لا تهبط نفس الحاسد ولا تقر عينه حتى ويصبح المحسود فقيرا مهينا.

وقد علمنا مما اسلفنا ان الجوارح خاضعة منقادة لحكم الانفعالات النفسية فاذا كانت قرة عين الحاسد ان يرى محسوده مسلوب النعمة التي يتقلب فيها فانه بالطبع لا يفتأ يأتي من المكاييد والدسائس ما يبلغه غايته التي يرى اليها ابتغاء تحليص نفسه من عذاب حقدها وآلام حسدها. ولا يخفى على البصير ان منشأ أكثر ما نراه من المكاييد التي يدبرها الناس بعضهم لبعض انما هو الحسد الذي تحمله صدورهم بعضهم لبعض.

ومن آثار الحسد على الثراء والنعيم ما يرى بينا لفلاحين والزراع واصحاب الحقول والبساتين من المكاييد فان الحسد هو مصدر ما نراه من قتل البهائم واقتلاع النجوم والاشجار واحراق الجرائن وتصيد بعض الاغنياء غيلة. وكذلك هو مصدر ما نراه من التزوير والاحتيال والتفريق والمخاصمات الى نحو هذا مما يفعله الحاسد لالغرض سوى حرمان المحسود من النعيم وايرائه من غناه فقرا ومن راحته غناء ومن مجده ذلة ومسكنه.

ومن مظاهر الحسد ايضا ما يشاهد بين خدام الحكومات وحواشي السلاطين والامراء فان الحاسد قد يدفعه وجده على المحسود الى التنقيب عن سوءاته وتأثر حركاته وسكناته فلا يقر له قرار حتى يجد له او يفترى عليه ما ينزله عن مرتبته ويقطع به اسباب الرقي والرفعة. وكما رأينا في دواوين

الحكومات من امثال هؤلاء من لا يطيب لهم عيش ولا تطمئن لهم نفس حتى يجدوا المحسودينهم من النقائص والمثالب معاول يهدمون بها آمال هؤلاء ومدى يقطعون بها جبال رجائهم .

وبالجملة ان اكثر ما نراه في الدنيا من المكاييد والشور والمخاضات والنوازل المحزنة انما مصدره الحسد . فالحسد كما ترى مصدر للكبر والاثام والجرائم والحاسد خليف ان يستعاذ منه وان يسأل الله العافية من كيده وشره . وهذا هو سر ما جاء في سورة الفلق من أمر الله تعالى الرسول (ص) ان يستعين به (من شر حاسد اذا حسد) فقد علمت مما ضربنا لك من الامثال ما يفعل الحاسد بالمحسود وما يجلب له من الضر والاذى .

اما اثر الحسد في صاحبه فيكفي منه ما يصيبه من النكد والالم وضيق الصدر كلما ابصر او ذكر ما للمحسود من النعمة . فالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله

وحسب الحاسد مقتا وغضبا انه غير راض عما قسم الله لعباده ناعم من الله تعالى اختصاصه من شاء بما شاء من فيض احسانه (اهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) فحسد الحاسد انما هو اعتراض على الله في تصرفه في ملكه وتقسيمه لرحمته ثم ان الحاسد فوق هذا كله ثقیل المجلس ممقوت الطلعة يستقبله الناس بنفوس متقززه وصدور منقبضة .

وخلاصة القول ان الحاسد ممقوت عند الله ممقوت عند الناس

كثير الحزن والنكد كثير الشقاء والنصب

(العلاج) على من يتلى والعاذ بالله بهذا المرض البشع ان يعتقد ان الاولى له ان يريح ويرتاح . واذا كان كل هم مما يجلبه على المحسود من الشرور والمضار ان يريح نفسه من الآلام التي ينتجها التفكير فيما فيه المحسود من النعمة وان يتفكر بان يراه يوما ما دونه منزلة ونعمة فلم لا يتمس ابتهاج نفسه وانتعاشها بالتفوق على المحسود من طريق اخرى تكون اقل غناء واوكد نجاحا واسلم عاقبة وابعد عن الشر والاضرار بالغير . او ما كان خير الحاسدان يتفوق على المحسود لا بمحاولة الهبوط به الى حيث منزلة الحاسد السافلة ولكن بصعود هذا الحاسد الى مافوق منزلة المحسود مالا او علما او جاها ؟ فاذا كان منشأ الحسد شغل المحسود لمنزلة وقيمة فليجتهد الحاسد في ترويض نفسه وتهذيبها وتزويدها بما يؤهلها بلوغ تلك المنزلة او تجاوزها

واذا كان مبعثه شهرة المحسود بالعلم والفضل فليكثر الحاسد من التحصيل والدرس والتنقيب والبحث حتى يحصل من العلم والفضل على ما يبرز فيه على محسوده

وان تولد الحسد مما للمحسود من المال الكثير والثروة الواسعة فليختار صناعة او حرفة ثم ليتقنها جد الاتقان فهناك تدنو الدنيا منه خاضعة منقادة فليجمع منها اذذاك ما يشاء .

اذ ليس من الصعب على الحاسد ان يستزيد من الصفات التي وجدت نفسه على المحسود من اجلها .

والخلاصة انه يجب على من اصاب بهذا المرض الممقوت ان يريح نفسه من غناء التفكير في نعمة المحسود وان يكنى المحسود شر ما يدبر له من المكاييد وان يكنى هو نفسه سوء السمعة واثم اذاء الغير . فاذا اتبع ما اسلفنا من النصائح فانه سيعيش موفور العرض متنعم النفس متفوقا على محسوده بما يجرز من المزايا والفضائل .

فعلاج الانسان ما قد يصاب به من ذلك المرض على النحو الذي شرحناه يرفع من شأنه ويقوم من اعوجاجه ويهذب من نفسه ويحول بينه وبين ايقاع الاذى بغيره . اما اذا استهوته وساوس صدره ورضى بحالته المقبوحة السافلة واكتفى بان يجتذب محسوده من رفعة ليهبط به الى حيث منزلته هو ومرتبته بما يدبر له من المكاييد والمكر السيء وبما يفتح عليه من ابواب الشر وتسوئة السمعة فليعلم انه لا يبوء الا بالاثام ولا يرجح غير الخسران ولا يتال عند الناس سوى الذل والهوان

وقد دلت الملاحظات والمشهودات على انه لا يقع التحاسد الا بين من يشتركون في صناعة او حرفة او تجارة او فلاحية او علم او جاه ويشهد لهذا اننا اذا عمدنا الى امتحان طائفة من الصناع فاننا لا نجد للחסد بينهم من اثر اذا ما تقاربت منزلتهم في اتقان ما يصنعونه فان الصناعة المتقنة البعيدة عن الغش والنبس نافقة بنفسها مرغوب فيها

فالطائفة التي تتساوى او تتقارب مصنوعاتهما جودة واتقاناً لا تتخلق بينها اسباب التضامن والتحاسد الا نادرا

وكذلك الشأن بين التجار الذين يبذلون موسوعاتهم في ترويج سلعتهم واجتذاب المتباعين الى حوانيتهم فيكثر من الاعلان ويفتنون في طرق التشويق والاستمالة بما يوجدون في متاجرهم او حولها من الاضواء والالوان والنقوش والداعين والمنادين . فالذين يفعلون ذلك من التجار لا يكاد يوجد فيهم منبت صالح لنموش من هذا المرض الخبيث .

ومن الميسوران يرقب الانسان اصحاب المتاجر الكبيرة بل والصغيرة من الامريقيين والفرنجة الذين لا يفتأون يتدعون من طرق التشويق والاستمالة حتى ليتصيدن السابلة عن بعد وهم سائررون لا يتغنون بيعا ولا شراء

فخير لاولئك المصايين بمرض الحسد ان يخففوا عن انفسهم اعباء النكد ويطفئوا عن صدورهم نيران الاحقاد والاضغان وان يقوا انفسهم عاقبة ما تقترب ايديهم من الجرائم والآثام فقد وصفنا لهم طريق العلاج الشافي . ولا يتوهم ان ذلك لا يجديهم نفعا فحسبهم ان يعتبروا بما فيه غيرهم وان يعمدوا الى المنافسة الشريفة التي يربح من ورائها المتنافسون دون ان ياتم احدهم بايذاء آخر

واذا ما قدر لاحد المتنافسين شئ من النشل والحية وهذا من الحوادث الشاذة في الدنيا فحسبه اذذاك ان يذكر ان الدنيا حظوظ وان لذلك اسبابا خفيت عن فكره فلم يدركها ولو فعل لرحح عن سبيل نجاحه وربحه كل عقبه . ثم ليروض نفسه بالقناعة وليحذر عواقب مطاوعة

الهوى والاتقياد لما يزينه شياطين الانس من ضروب الاذى (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)

ولا ريب ان هذا هو مغزى قوله تعالى فى الآيات السابقة (١) (واقموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله)

فإن الله تعالى يأمر المؤمنين وقد حسدهم اهل الكتاب على ما آتاهم الله من الفضل والعلم والحكمة وبما كتب لهم من التكاليف السياسية والانظمة التعاملية التى هى مقدمات الملك العظيم والسلطان الباهر يامرهم ان يعفوا عن حاسديهم وان يصبروا على أذاهم وان يأخذوا انفسهم بالترويض وكبح الشكيمة باقامة الصلاة التى تذكرهم بالله تعالى وتجذب قلوبهم الى العمل باوامره وتعاليمه وان يؤتوا الزكاة التى بها توفير عدد المسلمين وتقوية ضعفهم واكمال ما يلزم لهم فى درء الاذى عن دينهم وانفسهم من آلات القتال واسباب القوة وآساس السيطرة والشوكة واركان الحياة النبيلة السعيدة . ثم اراد الله ان يمزق ما قد يرين على قلوبهم من الوسواس والاهام والظن بان ما يقدمونه فى تلك السبيل من اموالهم انما هو لغرضائع وهدر لا يثمر فقال جل شأنه (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) وكيف لكم ان تترابوا فى حسن عاقبة العاملين بمداد يمدكم الله ذلك و (من اوفى بعهده من الله) ام كيف لكم ان تتوهوا ان تحفى عن اعينه ذرة مما تنفقون وما تعملون و (الله بما

(١) ارجع الجزء الرابع من المجلة حيث تجد الآيات التى نحن بصدد تفسيرها

تعملون بصير)

ومما لا ريب فيه انه ما اهلك العالم الاسلامى ومزق شمله كل ممزق الا العدول عن اوامر الله تعالى والضن على اعلاء كلمته بما اغدق عليهم من خيره . فلك نواصيهم وازمة قلوبهم شح مطاع وهوى متبع .

لقد غلت ايديهم عن الانفاق فى سبيل الله فحقت عليهم كلمة العذاب والتهلكة ثم افحشوا فى الاساءة الى انفسهم فكروههم الله واعمى ابصارهم . ولولاهم عقلوا لكفاهم هاديا ونذيرا قوله تعالى (وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين) ولكن انى لنا ان يفهم المسلمون او يعملوا بشى من قرآنهم وتعاليم دينهم وهذه الآيات الكريمة ترشد المؤمنين الى ما يجب عليهم فى ادوار ضعفهم من العمل وترينا انه اذا فتن المؤمنون فى دينهم او ابتلوا فى اموالهم وانفسهم وهم غير قادرين على مدافعة الاذى عن انفسهم واتقاء ما يشتد عليهم من الفتن بالقوة والقتال كان عليهم ان يفضوا الابصار عما يرونه من ظلمات الفتن ومظاهر الجور وان يقيموا الصلاة لينبوا الى الله تعالى فلا يفتتنوا بالدنيا وزخارفها ولا يضنوا بارواحهم واموالهم على الله تعالى وليذكروا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة . وليستعينوا بمعبودهم الواحد رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فيستهدوه الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم بالتوفيق والعمل والحكمة والحزم فلم يضلوا عن سبيله

كذلك كان على المستضعفين من المؤمنين ان يؤدوا زكاة اموالهم

كما يتمكنون بذلك من استكمال عدتهم وتقويم اعوجاجهم وتقوية شوكتهم واستجماع قوتهم والتأهب لحماية مصالحهم والدود عن حياضهم ودرء الاذى عن دينهم والانتقام ممن يعدون عليهم او يفتنونهم عن ملتهم

امر الله المؤمنين اذا استضعفوا بالصفح عن مؤذيتهم من الامم (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تقوا منهم تقاة) فلا ينبغي ان يسارعوا وهم ضعفاء الى الانتقام منهم ثأرين لانفسهم او غاضيين لدينهم حتى يأتي الله بامرهم وهوا اكثر ارجوعهم (١) فتقوى بذلك شوكتهم ويعز جانبهم وينبه شأنهم وهناك لا يقيمون على الذل ولا يرضون بالضم ولا يصطبرون على ان يروا دينهم متهك الحرمه مستباح الحى (٢) وما كان للمسلمين ان يبتئسوا اذ كانوا قليلى العدد مستضعفين . خاملى الذكر مضطهدين فان الله على كل شيء قدير . ولقد صدقهم الله تعالى وعده اذ اكثر نفيرهم وضاعف قوتهم وايدهم بروحه فامكنهم من اعدائهم واورثهم الارض يتبواون منها حيث يشاءون . وذلك اجرا للعاملين .

حسد اهل الكتاب المسلمين على ما وهبهم الله تعالى وودوا الوان هؤلاء ينقلبون كفارا وما زالوا يزبنون لهم الباطل ويحسنون لهم القبيح ويفترون على الله الكذب استدراجا لؤلئك الضعفاء واغواء لهم عن دينهم فكانوا يحاولون اقناع هؤلاء بان الجنة مقصورة على من كانوا من اهل الكتاب يهودا

(١) فامر الله هنا معناه تكثيره سواد المسلمين من قولهم امرهم الله فامروا (بكسر ميم الاخير) اى اكثرهم فكثروا . ومن هذا قوله تعالى (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها اى اكثرنا عددهم (٢) ليس في هذا من النسخ اثر اصلا

ونصارى فلا يدخلها فيما يزعمون احد من المسلمين) وقالوا ان يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى)

ولقد كان اكثر المسلمين اميين لا يكتبون ولا يقرأون فكانوا لاميتهم وجهالتهم يتوهمون ان ما يسمعون من اهل الكتاب ليس من مفترياتهم وتضليلاتهم المفتعلة وانما هى بعض آيات التوراة والانجيل يابون بها السننهم ليحسبها المؤمنون من الكتاب وما هى من الكتاب ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

ولما كانت العرب امة امية وكان اهل الكتاب هم اهل الدرس والنظر والجدل كان أولئك يتحاشون الخوض معهم فى شيء من الحديث لما وقر فى نفوسهم من ان هؤلاء قد اختلفوا بالعلم والنظر وانفردوا بالتحصيل والفتيا فكانوا يتهيون جانبهم ويطمثون لما يلقون اليهم من القول صوابا كان او خطأ .

ولما كان الاسلام جاء ليهدى الناس الى الطريق السوى ويعلمهم ان الانسان لا يجوز له الانقياد لكل قائد والاستماع لكل قائل والثقة بكل قول كلف الله رسوله ان يسأل أولئك المفترين من اهل الكتاب ان يدلوا بحجتهم ويتقدموا ببرهانهم يريد الله تعالى بذلك ان ليس للانسان ان يصدق ما يلقى اليه من المزاعم والدعاوى ما لم تقرر بما يؤيدها من الحجة والدليل .

ولا جرم ان اهل الكتاب بما افتروا على الله من الكذب لم يجيبوا الرسول اذ تحداهم والزمهم البينة بل نكصوا على أعقابهم بعد ان افتضح امرهم

لعامة العرب والاميين وتبين ان اكثر ما يقولون ليس وحيا ولا كتابا
وانما هي امانى واكاذيب يفتعلونها افتعالا وابطيل يوسوسون بها غواية
وتضليلا . ولو صدقوا لادلوا بحجتهم وقدموا برهانهم ولكنهم ما كانوا
صادقين

دلت هذه الآيات الكريمة على ان ما كان يزعمه اهل الكتاب
من ان الجنة حرام على غير اليهود والنصارى انما كانت من امانتهم واكاذيبهم
التي ما انزل الله بها من سلطان ثم قصت على المسلمين حكم الله في
خلافة ووضحت سبيلهم الى جنته فجاء اممانا في افحامهم وتبيدا
لظلمات اباطيلهم قوله تعالى في ختامها (بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله
اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فلا يجوز انسلان اجر الله تعالى
واحسانه ولا يفدو في جنة ووقاية من المخاوف والاحزان حتى يقدم بين يديه امرين
اساسيين اولهما الاسلام المرء وجهه الى الله جل شأنه ليذكر بالتوجه اليه واختصاصه
بالالوهية والعبادة او امره فلا يتنكب سبلها ونواهيه فلا يحوم حولها .
وثاني الاساسين الاحسان . ومعلوم ان كل ما ليس باذى وسوء فهو
احسان . فمن الاحسان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر العلم
وهداية الضالين واسعاف ذوى الحاجات وتخفيف ويالات المنكوبين
واقامة المستشفيات والتزام الحذر وبذل المال في سبيل حماية الذمار وتحرير
الرقاب ومناهضة الجائرين ومحاربة الاستبداد واقامة الشورى واعداد
ما تتوقف عليه سلامة مصالح الافراد والامم من القوة . كل ذلك من

وان يعيش مخفوا بالمخاوف مقرونا بالاحزان
واعلم ان معنى اسلام المرء وجهه لله ان يقصر وجهه على الله تعالى
ويسلمه اياه فلا يتجه به الى غيره تعالى في عبادة او استعانة او دعاء .
والى هذا اشارت سورة الفاتحة بآية (اياك نعبد و اياك نستعين) اى نلعبد
سواك ولا نستعين احدا غيرك بل انت الواحد المعبود وانت الذى يصمد اليه
في جلب المنافع ودرء المضار المتفرد بالخلق والتدبير

ذلك هو الاسلام في الشرع فركناه الفذان هما توحيد الله
بالالهيية واختصاصه بالعبادة فمن اقام هذين الركنين كان مسلما وجهه
لله تعالى . لذلك كان ابراهيم الخليل من المسلمين (١) (ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين)
بل ان الانبياء والرسل والابرار جميعهم كانوا يدعون الالم الى الاخذ باحكام
كتاب الله وكانوا عليه شهداء

لقد كان الانبياء والرسل منذ القدم يدعون الى توحيد الله والا
يشرك به غيره بعد اذ هداهم الله الى معوفة حقيقة . ذلك ابراهيم جعل
يقب بصره ناظرا في ملكوت السموات والارض ممتحنا اكبر الاجرام
العلوية واعظمها فائدة وشأنا مما كان يحمله المشركون ويبدونه حتى اذا
تبين لانهما كائنات تغيير وعوالم تسخر وتسير قال (انى وجهت وجهى
لذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين . وحاجه قومه
قال اتحاجونى فى الله وقد هدى) (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان

الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وאתم مسلمون) ولقد كان المسيح عليه السلام من المسلمين الذين يدعون الى توحيد الله تعالى واختصاصه بالربوبية حتى لقد كان محتج على بنى اسرائيل ويؤثيهم لتعطيهم ناموس شريعتهم واول وصاياهم .

جاء فيما خاطب عيسى عليه السلام ربه قوله (١) « وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذى ارسلته »

وقد جاء فى انجيل مرقس (٢) آية « فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى انه اجابهم حسنا سألهم آية وصية هى اول الكل فاجابه يسوع ان اول كل الوصايا اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الاولى . وثانية مثلها هى ان تحب قريبك كنفسك ليس وصية اخرى اعظم من هاتين »

وفى الباب السادس من سفر الاستثناء « اسمع يا اسرائيل ان الرب الهنا فانه رب واحد »

وفى كتاب اشعيا (٣) ليعلم الذين هم من مشرق الشمس والذين هم من المغرب انه ليس غيرى . انالرب وليس آخر »

من هنا يتبين لك انه لم تجيء شريعة سماوية بغير التوحيد حتى المسيحية

[١] الآية الثانية من انجيل يوحنا (٢) راجع الباب الثانى عشر منه (٣) راجع الباب الخامس والاربعين منه .

التي اهم اركانها عند اهلها خرافة التثليث فقد قصصنا عليك من اعبات الاناجيل انفسها مافيه بلاغ مبين . فركن الشرائع السماوية كلها التوحيد (١) (ان الدين عندالله الاسلام) ولقد يغفرالله لعباده سيئات مايقولون ومايعتقدون ومايعملون ولكن لايفر لاحدان يشرك به قال تعالى

(٢) (ان الله لايفر ان يشرك به ويفر مادون ذلك لمن يشاء . ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا مبينا) وقال جل شانہ (٣) (ومن يتبع غيرالاسلام دينافلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) وانما كان الاسلام لله تعالى وتخصيصه بالتوحيد والعبادة اقوى دعائم السعادة لان الاناسى اذا لم تقر فى انفسهم العقيدة الصحيحة فى مبدع الكائنات ومرسل الرسل بالآيات ومنزل الكتب بالهدايات لايعنون بتدبر مايرسله من الوحي ولايستمعون لمن يعثم من الرسل . فهم اذا لم ترسخ فى نفوسهم عقيدة التوحيد وتجزم عقولهم بوجود الحق سبحانه وتعالى قد تنعكس عليهم الشئون فلا تزيدهم الآيات الاعمى والهدايات الاضلالا . يفسر ذلك قوله تعالى (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقوله (ونخوفهم فمايزيدهم الاطغيانا كبيرا)

ومن هنا كانت الآيات والبيئات لاتفيد من الناس سوى المهتدين الذين يريدون ان يقوا ارواحهم عواقب الضلال ويتجافوا بانفسهم عن المراتع الوخيمة . أما الجاحدون المعاندون فقلما فادتهم العبر والآيات

[١] سورة آل عمران [٢] سورة الناس [٣] سورة آل عمران

(الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب
ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون)

فاذا وقر في نفس انسان صحة وجود الله تعالى وتوحيده بالعبادة
والاستسلام كان خليقا ان يأتي بالحسن في شئونه واعماله فيحسن الى
نفسه والى دينه والى وطنه والى امته غير واهن ولا ضنين .

فاذا اسلم الانسان وجهه لله واخذ باسباب الاحسان على النحو الذى
شرحنا آنفا كان على الله ان يوفر نصيبه من الاجر وان يطمئن نفسه
فلا تحيط بها المخاوف ولا تطرقها الاحزان . ذلك وعد الله وان الله
لا يخلف الميعاد .

وقالت اليهود ليست النصرارى على شئ وقالت النصرارى ليست
اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب . كذلك قال الذين لا يعلمون
مثل قولهم فאלله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

قد سبق في الآيات التى قبل هذه ان اهل الكتاب زعموا تحريم
الجنة على المسلمين فقالت اليهود لا يدخل الجنة الا اليهود وقالت النصرارى
لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا . وقد اسلفنا ان قولهم ذلك ما كان

الاعنادا وحسدا وكفرا بما علموا حتى لقد عجزوا ان يقدموا برهانهم
اذ تحداهم الرسول عليه السلام وطالبهم بالبينة ثم جاءت هذه الآيات
تنقص علينا من اصرا اهل الكتاب وضروب عنادهم عجبا .

جاءت التوراة فبشرت بمقدم عيسى عليه السلام ثم جاء عيسى
فدعا قومه الى الاخذ بتوراة موسى حتى كان من اركان المسيحية الايمان
بكتب العهد القديم جميعها . فاما اليهود فقد عادوا المسيح على عهده
واضرموا العداوة والبغضاء للنصارى من بعده مخالفين بذلك بشارات
كتابهم وهم يتلونه عالين بما فيه . واما النصرارى فانهم على علمهم بان
من اركان دينهم الايمان بالتوراة التى هى كتاب اليهود قد كانوا يتكبرون
اليهود ويضالونهم .

روى عن ابن عباس قوله لما قدم اهل نجران من النصرارى على
الرسول اتهم احبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله فقال رافع بن حريملة
ما اتم على شئ وكفر بعيسى بن مريم وبالا انجيل فقال رجل من نصرارى
نجران ما اتم على شئ وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فجاء في ذلك
آية وقالت اليهود ليست النصرارى على شئ (الى قوله) فيما هم فيه
يختلفون .

ضرب القرآن هذه القصة مثالا ليين ان القوم لم يكونوا بدعا
اذ قاموا ينكرون القرآن ويكفرون المسلمين ويحرمون الجنة على غيرهم
فمن لم يدن بدينهم فقد بلغ بهم العناد والبغى والانتقادي للتشهى والعصبية

ان كفر كل فريق منهم الآخر وبين ايديهم التوراة والانجيل فيهما
حكم الله سالكين في مجادلاتهم سبيل الجاهلين الذين لا يعلمون .
واذا كان هذا حال اهل الكتاب بعضهم مع بعض فكيف يعجب
من جحودهم لما عليه المسلمون واصرارهم على تضليلهم وزعمهم ان رحمة
الله وجنته محرمة عليهم وانها لا تسع الا من كان يهوديا او نصرانيا .

وفي الآية الكريمة اشارة الى ان اثم العالم عظيم وان كفر اهل
الكتاب انما كان كفر عناد وحسد وجحود لما بين ايديهم من الكتب التي
يزعمون انهم بها مؤمنون وباحكامها عاملون ولمنزها خاشعون .
وتدل هذه الآية الكريمة على ان من الجرائم والآثام عدول
الانسان عما بلغه من العلم انقياد التشبهى نفسه او اتباعا لقول غيره . فمن
فهم حكما او احرز علما وجب عليه التمسك به واثم بكفرانه وستره .
او تقليد غيره في غيره .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا
أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيًا لَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَبِهِ وَجْهُ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .

اقيمت المساجد في الاسلام لمقاصد منها ذكر الله الذي شق الغافلون

عن ذكره وسعد الذاكرون لاسمه . وقد بسطنا فيما اسلفنا الكلام في بيان
كيف ان الغفلة عن الله تعالى مجلبة لسخط الله ومفضية الى شقوة الغافل .
ومجمع الكلام في ذلك ان في ذكر الله ذكر عظمته وجبروته وذكر حسابه
وجزائه فكلما ازداد تذكر العبد لربه ازداد ابتعاده عن الشر وتجافيه
عن مضارة الناس وابانت به الى الله تعالى مستنزلا بذلك رضاه واحسانه .
واذا ازدادت غفلة الانسان عن الله تعالى كان خليقا ان تكثر
آثامه ويزداد بغيه وعدوانه وتقل توبته وإيمانه

ولا ريب ان مساجد الله يقصدها الناس ليذكروا اسم الله تعالى
فيتعدوا بذلك عن الغفلة التي قد بينا عواقبها الوخيمة ونتائجها
الضارة .

ومن مقاصد المساجد اقامة الجماعات خمس مرات كل يوم كما يتمكن
الناس بذلك من التعارف والتآلف فتتوثق بهذا جامعتهم وتشدد لحمتهم
وتتمحى من بينهم آثار التناكر والتنافر التي هي مبعث التفرق والتدابر
ومنشأ المخاصمات والفتن .

ومن تدبر كيف تبدل المسلمون غير انفسهم وكيف اشتد البأس
والعداوة بينهم واعتبر بما ذكرناه هنا ايقن ان المسلمين لو استقاموا
لربهم وقصدوا مساجده واقاموا بها الصلوات في الجماعات لما تفرق
شملهم ولا انفرط عقد نظامهم ولكنهم عطلوا اسباب التآلف والتآخي
فتقطعت اوصالهم وذهبت ريحهم

تبين مما اسلفنا ما يرتد على جماعة المسلمين من الفوائد العظيمة

والثمرات الشهية اذا اقيمت فيهم المساجد وازدادت عمارتها بالصلوات
واقامة الجماعات . فمن اظلم اذا ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه
وسعى في خرابها ؟ ان الذين يفعلون ذلك انما يتبنون ان يحاربوا الله
بتمطيل شعائره وايقاع التناكر والتفريق بين عباده الموحدين حتى لا
يلتئم لهم شمل وان يعودوا المسلمين الغفلة عن ربهم حتى لا يذكروا
جلاله وحسابه ولا يتقوا غضبه وعقابه . فاذا بلغوا هذا الدرك السافل
اختلفت شؤونهم وفشا البغي والعدوان بينهم فتمكن بذلك اعداؤهم من
رقابهم ونالوا ما شاءوا منهم .

لهذا كله حذر الله المسلمين من ان يمكنوا هؤلاء من دخول مساجدهم
باغين معتدين ولا آمنين مطمئنين اذ ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

ومن هنا يتبين ان الآية الكريمة تفرض على المسلمين ان يدفعوا
الاذى عن مساجدهم فلا يمكنوا منها احدا ممن يريدونها بسوء اذ لا
ريب ان الساعين في هجران المساجد او المعطلين لذكر الله فيها ما يريدون
من ذلك سوى ما بينا من تمكين الغفلة عن الله من قلوب المسلمين
وحرمان هؤلاء مما تفيدهم الجماعات والجماعات من التعارف والتآلف
واسماع الموعظة الحسنة والتذاكر فيما فيه الخير والبركة للعالم الاسلامي .
اذا فليس لاحد من المسلمين ان يرى مساجد الله تهدم او تصد ابوابها
فيخفف منها موقف الجاهل غير المبالي فان ذلك اثم كبير وتقرير في
الاحتفاظ بحقوق الله .

واعلم ان ما حملنا عليه الآية الكريمة من ان النفي في (ما كان لهم ان
يدخلوها الا خائفين) من ان يكون كناية عن نهى المؤمنين ان يمكنوا
احدا من الحاق الاذى بمساجدهم له نظائر كثيرة في القرآن الكريم
فمن ذلك آية (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) اي لا يباح لكم
ذلك . وكذلك آية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)
اذ ليس المراد هنا ما زعموه من ان الكافرين لا تعلق كلمتهم على المسلمين
وان لا يكون لاهل ذلك سبيل الى قهر هؤلاء وامتلاك بلادهم فقد جاءت
الحوادث منذ تفرقت كلمة المسلمين ناطقة بان المسلمين كغيرهم لا تعلق
كلمتهم ولا يتهيب جانبهم ولا يخاف بأسهم الا اذا اتحدت كلمتهم وظهرت
نفوسهم واستمسكوا باسباب اليقظة والحذر واعدوا لاعدائهم ما استطاعوا
من القوة والعدة

اذا فاذا اريد من هذه الآية ؟ ان حذاق اللغة العربية واصحاب
الذوق السليم فيها لا بد ان يتأولوها بان الله تعالى لم يكن ليجعل من احكام
شريعته المطهرة ما يلزم المسلمين بالخنوع والانقياد لاحكام الكافرين ويوجب
عليهم السكون والطمأنينة لسلطانهم اذ يريد جيل شأنه ان يجعل كلمة
الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا . فالمسلمون الذين يستسلمون
لاحكام الكفرة ويطمئنون لسلطانهم والذين يزدلفون منهم ويتقربون
اليهم بدماء اخوانهم في الدين والمسلمون الذين يوالون هؤلاء الكفرة
ابتغاء الجاه او المال كل أولئك ضالون ظالمون . يدل على ما ذكرنا
في تأويل هذه الآية قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا

الرسول واولى الامر منكم) فقلوه منكم صريح في انه ليس للمؤمنين ان يطيعوا اولى الامر من غير انفسهم الا ان يتقوا منهم تقاه .

اذا فالتنى في آية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) خبر اريد به ان ينهى الله عباده المؤمنين ان يستسلموا الغيرهم معنلا ذلك بانه عز شأنه لن يجعل من احكام شريعته ما ييسر للمسلمين ذلك . وعلى هذا النحومن الايتان بالتنى مراد به النهى جاءت الآية التي نحن بصدددها وهى (أولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين)

فالؤمنون ما كان لهم ان يمكنوا الكفار من الايذاء لمساجدهم اوالد خول فيها راغبين في تعطيل شعائر الاسلام اوصادين المسلمين عن سبيل الله ولكن لا اثم عليهم اذا ما دخل هؤلاء الكفار تلك المساجد خائفين مستأمنين يريدون بالتجأهم اليها ان يحقنوا دماءهم ويكفوا عن مآوأة المسلمين ومحاربتهم فان فعلوا ذلك فقد حقت لهم الذمة والعبد وحرمت دماؤهم وحقوقهم فلا يعتدى عليها على نحو ما جاء في قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا)

هذا وامر الله للمؤمنين ان يدرأوا عن مساجدهم اذى المعطلين . للشعائر الصادين لهم عن ذكر الله قد يبعث المشركين على الطعن في الاسلام والظن بان هذا الدين الذى عماده توحيد الله بالربوبية واختصاصه بالعبادة والاستعانة والدعاء قد وجد فيه ما يشعر بالتجسيم وان لله بيوتالا يوجد الا فيها ولا يقبل العبادة الا بين جدرانها وانه لولا

ذلك ما امرتهم هذه الآية الكريمة بمدافة الاذى عن مساجده ونهتهم عن ان يروا ما يقصد بها من التعطيل والتخريب فيقفوا دون هذا جامدين . لهذا جاء في نقض هذه المزاعم قوله تعالى (والله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم)

فحث الله المسلمين على صد المؤمنين مساجدهم ليكن لانها بيوته يأوى اليها او معاهد وجوده يجه اليه فيها وانما ذلك لانها (بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه) يسمح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخفون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزى الله كل نفس ما كسبت)

تنبيه : مما يجمل ذكره هنا ان العلماء لم يهملوا البحث في بيان التشابهات وتأويلها ومن احسن ما جاء في بيان الوجه الذى اضيف الى الله في كثير من آيات القرآن قول الفقيه محمد بن احمد اللبان (١) في كتابه « رد الآيات المتشابهات الى الآيات المحكمات » اذ يقول قد جاء ذكر الوجه في غير مائة فاذا اردت ان تعلم حقيقته ومظهره من الصورة فاعلم ان حقيقته بارق نور التوحيد ومظهره من العمل وجهة الاخلاص (فاقم وجهك للدين خنيفا) ويدل على ان وجهة الاخلاص مظهره قوله تعالى (يريدون وجهه) وقوله (انما نطعمكم لوجه الله) وقوله (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) والمراد من ذلك كله الشئ على اهله بالاخلاص تعبيراً بارادة الوجه عن اخلاص النية . ويدل على ان

حقيقة الوجه هو بارق نور التوحيد قوله تعالى (ولا تدع مع الله الها
آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه) اى الا نور
توحيده وهو السموات والارض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
(اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت به الظلمات وصلى الله عليه امر الدنيا
والآخرة) وبهذا يفهم سر قوله تعالى (فايما تولوا فثم وجه الله) ا ه
ومما اسلفنا يعلم ان الوجه اذا ذكر مضافا الى الله تعالى كان كناية عن نور
توحيده اى الآيات الناطقة بانه اله واحد ولا ريب ان الانسان لا يقبل
بوجهه على جهة فى المشارق والمغارب حتى يرى وجه الله ونور توحيده
المتجلى فى كل ذرة من خلأته .

وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

واذا اضيف الوجه الى الانسان فى القرآن فاكثرا يدل على الاخلاص
واختصاص ربه تعالى بالتوجه والعبادة . فآية (اقم وجهك للمدين حنيفا) ونحوها
من الآيات انما يراد بالوجه فيها المعنى الكنائى وهو الاقبال على الله واسلام
الانسان وجهه اليه فلا يعبد احدا سواه ولا يتجه بوجهه لمعبود غيره
ومن البين ان اولئك الذين منعوا مساجد الله ان يذكروا فيها اسمه وسعوا
فى خرابها ما فعلوا ذلك الا لما ذكرنا آنفا اولانهم يزعمون ان التوجه
لا يكون الا للمبىء المقدس مثلا ولا يصح الا فى البيع او الكنائس
او بيوت الاصنام فكان ابلغ رد عليهم وادمع حجة قوله تعالى (والله
المشرق والمغرب فايما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم) فالله تعالى
الذى له المشرق والمغرب العليم بمن يسلم اليه وجهه انما كان يتقبل من

عباده من يتوجه اليه بوجهه ويقت لاصره ونهيه فى آية بقعة
من الارض (جعلت لى الارض مسجدا) (١) فذا كان لاهل الكتاب
او غيرهم ممن خربوا مساجد المسلمين ان يضلوا عن هذه الحقائق
فيذهبوا مذاهب المجسمة ويصدوا المسلمين عن التماس نور الله تعالى
وهدايته فيما اقاموا من المساجد فانهم ان ولو اوجوههم الى الله تعالى فى اية
بقعة من الارض فثم يجدونه .

(بحث دقيق) خاض المفسرون فى تأويل هذه الآية واتوا فى ذاك
بالشوارد والغرائب ولو انهم تدبروا الآية الكريمة وفهموا كلمة الشرط
وهى (انما) لسهل عليهم جدا بلوغ الحقيقة بلا شطط فى التأويل .

ان كلمة (انما) اسم شرط يفيد الظرفية المكانية فالمعنى كما اسلفنا
ان كنتم فى اى مكان فوليتم وجوهكم الى الله فثم وجه الله فتولية المسلمين
وجوههم انما هى الى الله لا الى المكان وان كانت واقعة فى المكان . مثال ذلك ان تقول
انما تنظر الى انظر اليك . اى ان نظرت الى وانت فى اى مكان فاننى
انظر اليك .

وعلى هذا ليس فى الآية فيما رايت تعرض للقبلة اهى بيت المقدس
ام الكعبة ام غيرها فكل ما ذكره المفسرون فى هذا الباب من مباحث
النسخ والقبلة شطط وابتعاد عن المعانى الواضحة التى تقتضيها
اساليب اللغة العربية

وللطبرى فى هذا الباب كلام طويل جدا جاء فيه على كثير من

الآراء في تأويل هذه الآية ثم ختمه بكلمات بالغة في تفنيد اقوال من زعموا ان الآية من باب التاميم والمنسوخ فليرجع اليه من شاء وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموت والارض كل له قانتون قد علمنا مما قدمنا ان الله لا يغفر ان يشرك به غيره وانه لا يخاف ولا يخزن من يسلم وجهه الى الله وهو محسن. ولما كانت هذه الآيات الكريمة مترادفة في معنى اثبات وحدانية الله تعالى وانفراده بالعبادة والربوبية كان من نتائج مجادلة اهل الكتاب والمشركين بتلك الآيات الباهرة والادلة الينة القاطعة تجيبهم واتنكر لهم فيما جعلوا الله تعالى من الولد والبنات (وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله. ذلك قولهم بافواههم يضاهئون به قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون)

فمن الشرك الصريح زعم النصارى ان عيسى ابن الله وزعم اليهود ان عزيرا ابن الله. فهؤلاء على الزعم من انهم اهل كتب سماوية تأمر بتوحيد الله تعالى وتتنفى عن الله الشركاء في الربوبية والعبادة سلكوا مسلك الجاهلين من المشركين الذين (يجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون)

قد اسلفنا ان الاسلام هو دين ابراهيم وموسى وعيسى وسائر الرسل عليهم السلام (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) ولقد اصبح

من السخافات وهذيان غجائز النساء القول ببذوة المسيح لله تعالى شأنه حتى انه يكاد يكون من العبث والمغفوان نخوض مع اولئك الجاهلين من النصارى في مجادلة او مناقشة غير اننا لما لمبحث التوحيد نذكر لك نبذا من شبهاتهم لتعلم ان القوم على ما آتاهم الله من الذكاء وسعة العلم وعلى كثرة ما يجاهرون من انهم اهل الفلسفة والزندقة وحجود ما وراء المادة والطبيعة لا يزولون يقولون بسخافات لا تخالف شكل الحرافات وروحها في شئ.

اننا نريد هنا ان نخالف ما سلف لنا من ان التوراة والانجيل المعروفة اليوم ليست صحيحة ولا متواترة ولا متصلة السند فنفرض جدلا انها كما يزعمون فهل نجد فيها ما يدل على التثليث او ابوة الله للمسيح؟ ان المسيح عليه السلام كان يعبر عن نفسه بابن الانسان وقد نجد هذا التعبير في نيف وعشرين موضعا من انجيل متى الحواري ولا يخفى ان معنى هذا انه انسان.

على ان لوقا في الباب الثالث من انجيله في بيان نسب المسيح يقول انه ابن يوسف (١) وآدم ابن الله. فلو كان الحواري قد جعل المسيح ابنا لانسان معروف وان آدم لكونه لم يخلق من ابوين من جنسه سماه بابن الله وان كان اجماع المسيحيين وغيرهم على انه ليس ابنا لله بالمعنى المتعارف. بلى قد جاء التعبير بابن الله واينساء الله في كثير جدا من ابواب

(١) هو يوسف النجار.

الا ناجيل مرادا بذلك احباؤه واصفياؤه فمن هذا (١) « طوبى لصانعي السلام لانهم ابناؤه الله » وفي المسكلمة التي وقعت بين اليهود والمسيح ورد (٢) « أنتم تعلمون اعمال ايكم فقالوا له اننا لم نولد من زنا. لنا اب واحد هو الله فقال لهم يسوع لو كان اباكم كنتم تحبوني »

وفي الباب الثالث من الرسالة الاولى ليوحنا تجرى الآية التاسعة. هكذا « كل مولود من الله لا يفعل خطيئة لان زرعته ثبت فيه ولا يستطيع ان يخطئ لانه مولود من الله » وفي الباب الخامس من الرسالة المذكورة قوله « كل من يؤمن ان يسوع هو المسيح فقد ولد من الله » وقوله بهذه نعرف اننا نجب اولاد الله اذا احببنا الله وحفظنا وصاياه »

وقد جاء في الباب السابع من سفر صموئيل تسمية سليمان بابن الله. هكذا « وانا اكون له ابا وهو يكون لي ابنا »

وفي مناجاة اشعيا النبي نجده اطلق كلمة الاب على الله بالاضافة الى نفسه. والى بنى اسرائيل اذ يقول (١) « والآن يارب انت ابونا »

من الآيات السابقة جميعها يمكن ادراك ان كلمة الابن الوارد فيها انما يريد منها اهل الطاعة والمصطفين الاخير من عباد الله تعالى وان التعبير عن الله بالاب في جانب هؤلاء انما هو كناية لاحقيقة .

وقد جاء في كتب العهد ايضا تسمية الله تعالى بابي اليتامى مرادا به الرؤف بهم الذي يشماهم بلطفه واحسانه

(١) انجيل متى آية ٩ باب ٥ (٢) انجيل يوحنا آية ٤١ باب ٨

(١) كتاب اشعيا آية ٨ باب ٦٤ (٢) الآية ٥ من الزبور ٦٧

ومن جهل النصارى وضلال عقولهم استمسا بهم بما جاء في الباب الثامن من انجيل يوحنا عن المسيح « فقال لهم انتم من اسفل امانا فن فوق . » اذ لا يخفى ان هذا من الكسليات الشائعة حتى بين عوام جيلنا الحاضر . فلقد ينكر الانسان على اهل بلده او على قبيله او افراد أسرته بعض الهبات والصفات فيأخذ يتبرأ منهم اى مما هم عليه وان نبت فيهم وانتسب اليهم وكان جزءا في الواقع من جماعتهم . فقول المسيح انا من فوق ليس معناه ما يفهم الجاهلون من انه نزل من السماء وانه ليس من العالم البشرى بل المراد انه لعصمته ومكانته من صفوة الله واخياره من عالم آخر غير العالم الذى عاش فيه صفات واخلاقا وعقلا وعدلا ويبدل على هذا ما جاء في الباب السابع من انجيل يوحنا اذ يقول المسيح في شأن تلاميذه (لانهم ليسوا من العالم كما انى لست من العالم) فلو كانت هذه العبارة تقتضى الالهية فالمسيح وتلاميذه جميعا اذا آلهة يمددون .

ومن شبهات النصارى التي اضلتهم حتى حملتهم على القول بان الله والمسيح واحد بعض فقر جاءت في انجيل يوحنا فن ذلك الآية ٣٠ من الباب العاشر (انا والاب واحد)

استدل النصارى على شر كههم بهذه الآية وفاتهم ان مثل هذا ورد ايضا في شأن الحوارين فقد جاء في الباب السابع عشر من انجيل يوحنا قوله (ليكون الجميع واحدا كما انك انت اياها الاب في وانا فيك ليكونوا هم ايضا واحدا فينا) وقوله (انا فيهم وانت في ليكونوا مكملين الى واحد)

وقوله (في ذلك اليوم تعلمون اني انا في ابي واتم في وانا فيكم) وهناك آيات أخرى كثيرة جاءت على هذا النحو من التعبير فهل شئ من ذلك معناه حلول الله تعالى وتقدس في غيره وحلول غيره من افراد البشر فيه اللهم ان هذا الاضلال مبين وافك عظيم وجهل باساليب الكلام وحسن البيان .

والحقيقة ان الاتحاد في سائر الآيات انما هو ارتباط الله بعباده بلحمة طاعته وامتنال او امره والوقوف عند حدوده فاتحاد الانبياء بالله تعالى اشد من اتحاد غيرهم به اذ الناس في طاعة الله مراتب مختلفة بعضهم فوق بعض درجات

وكذلك يجيز التعبير بالاتحاد في جانب الله والانبياء انهم هم المبلغون لرسالاته المعبرون عن وحيه الداعون الى سبيله فهم سفراء الله الى عامة عباده . وعلى هذا النحو ما جاء في القرآن الكريم (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم)

ولقد جاءت الكتب المسيحية نفسها ناطقة بان فكرة التثليث ما كانت في القرون الاولى للتاريخ المسيحي فقد جاء في دائرة المعارف الانجيزية لهرمز وورث ان عقيدة التوحيد المبنية على تعاليم العهد القديم والتوراة كانت هي المعروفة في الكنيسة الاولى ثم اخذت تضعف رويدا رويدا تجاه المذهب الارثودوكسي (التثليث) حتى كادت تزول . ولكن لم يكدنور العلم والعقل تنتشر اشعته في العالم النصراني حتى عادت العقيدة

التوحيدية تجد سبيلها ثانية الى قلوب المحصلين الذين كسروا اغلال التقليد من المسيحيين . وبالرغم من التشكيل والتعميد اللذين كانا جزءا من يخالف القول بالتثليث فقد انتشرت في اوروبا عقيدة التوحيد في اواسط القرن السادس عشر لاسيما بايطاليا وبولانده وترانسلفانيا . وقد اشتهرت هذه البلاد الاخيرة بانها صارت مهد القول بتوحيد الله تعالى

ثم انتشرت كنائس الموحدين من النصاري في اوروبا وغيرها وكذلك اقيمت لهم المدارس في كبريات المدن العلمية في كل مملكة من الممالك المسيحية (١)

ويجمل بنا هنا ان نختم بمبحث التوحيد بكلمة لكبير ممن أساطين نصارى الانجليز وهو اللورد ماكولي أتينا على ترجمتها في رسالتنا « الاسلام دين الفطرة » نريك بها كيف ان عقيدة التثليث والحلول اصبحت مقبوحة منكورة لدى كل عاقل حتى من المسيحيين انفسهم . وهذا نصها .

ان علماء المنطق قد بنوا عقائدهم وقضاياهم على البرهان العقلي فامكنهم ان يسلّموا القول بأن من الاشياء مالا يمكن للعقل ان يحيط به بخلاف السواد الاعظم من العامة فان معظم افكارهم وقضاياهم اما خيالية او وهمية او شعرية فلا يكادون يبنون شيئا من مذاهبهم ومعتقداتهم على نظر

(١) من شاء تفصيلا اكثر من هذا فعليه بدوائر المعارف الكبرى الموضوع باللفات الاوروبيه

صحيح وفكر سليم ومن هنا نشأت كما يظهر الاديان الوثنية في كل امة في كل جيل في كل زمن فاختلفت لذلك صور الالهة باختلاف مآصوره خيال معتقديها

ولطالما اذن فينا التاريخ ببيان ما ادخل اليهود قديما في دينهم من البدع متمسكين بما املاه عليهم خيالهم الفاسد من ضرورة ان يكون لهم اله محسوس ملموس يقصدونه بالعبادة والاحلال . ويمكن القول بأن معظم الاسباب التي ذكرها جييون وجعلها اساس انتشار الدين النصراني لم تؤثر ذلك الاثرو لم تضر ذلك الدين في اطراف الارض الا لانها كانت مشفوعة بكثير من تلك القضايا الوهمية التي كان لها اكبر سلطان على نفوس السذج من العامة فان الهالم يخاف وكأنا لا تدركه الابصار ولا تحيط به الظنون لم يقل به الا الفلاسفة العالمون اما الاخلاط ضعاف العقول من الناس فانهم ضاقت دائرة افكارهم وانقطعت سلسلة ادراكهم عن ان تصل الى القول باله ليس له صورة محدودة في نفوسهم فكانوا يتأفقون ويهزؤون ويضحكون من اولئك الفلاسفة راميهن بالبله او قصور الذهن طاشت النفوس في الازمنة القديمة وضلت الصراط السوي وقت القلوب وانتهكت الحرمات فجاء المسيح عليه السلام واخذ يعلم الناس ويدعوهم الى ما جاء به من الهدى فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولم يسلم تابعو المسيح من النصارى ان يصيهم في ايمانهم مثل ما اصاب اليونان والفرس وغيرهم من قبلهم فمثل الاله لهم في صورة ادى

مشى بينهم وشاركهم في اعراضهم وما يعتريهم من الانحلال والاضمحلال كما كان يبكي على القبور وينام في الحظائر ثم صلب حتى ساله دمه على اعواد الصليب فظهروا بذلك للعالم في لباس جديد من الوثنية ثم كان لهم من القسيسين والرهبان بعد ذلك لقيف من الالهة على مثال ما كان لليونان فكان القديس جورج لديهم اله الحرب كما كان المريخ عند اليونان وكذلك اتخذوا العذراء سيسيليا وغيرها آلهة الجمال وفنون الادب كما كانت الزهرة وسبع كواكب اخرى آلهات لدى اليونان وهلم جرا

ولطالما اخذ المفكرون من رؤساء الدين يزليون مالمصق بعقول العامة من تلك الصور الوهمية ولكنهم لم يفلحوا نجد العامة الى هذا اليوم يتعشقون سماع كثير مما لا معنى له من الخزعبلات ويتهاقنون على تلقف سير بعض من لا قيمة لهم في سوق الفضائل والمكرمات اكثر مما يميلون الى تعرف وتفهم شيء من قواعد الدين الاساسية انتهى ببعض تصرف

ابن رشد وتعاليمه

٦

ولاية العهد . الشورى

لقد بين ابوالوليد ابن رشد الحكومات وانواعها وشرح الجمهورية ونظامها في كتاب السياسة والجمهورية غير انه في كتاب الجمهورية بعدما فصلها وبين الاناظم التي كانت متبعة قديما رأى ان هذا النوع من الحكومات هو الذى يدعو اليه الاسلام وليس ثمة نوع من انواع الحكومات ينطبق على اصوله سواء . ولما كان هذا الموضوع مرتبطا بمسألة الامامة ايما ارتباط رايانا ان تأتى ببذرة صغيرة نبين فيها آراء فرق الاسلام في هذا الموضوع ثم تتبعها بعد ذلك برأى ابى الوليد ليزداد الموضوع كشفا وايضا .

أختلف المسلمون في وجوب الامامة وفي طريق وجوبها الى فرق وطوائف الطائفة الاولى ترى ان نصب الامام العام من الواجبات الشرعية لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعة ابى بكر رضى الله عنه وتسليم النظر اليه في امورهم وكذا في كل عصر من بعد ذلك ويرى هذا اكثر المسلمين .

الطائفة الثانية ترى ان نصب الامام واجب الا ان طريق ذلك العقل لا الشرع لضرورة اجتماع البشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لتباين الاغراض وتختلف المنافع وتضاربها فاذا لم يكن هنالك حاكم يقيم العدل وينصف الناس ويرجع اليه العالم سادت الفوضى وهلك البشر ومن هذه الطائفة اكثر المعتزلة والزيدية .

(الثالثة) ترى وجوب نصب الامام العام وترى ان طريق ثبوت ذلك العقل والشرع ومن هذه الطائفة الجاحظ وابوالحسن من المعتزلة والكمبي .

(الرابعة) ترى ان نصب الامام ليس بواجب لاعقلا ولا شرعا والواجب عند هذه الطائفة امضاء احكام الشرع فاذا تواطأت الامة على العدل وتنفيذ احكام الله لم يحتج الى امام ولا يجب نصبه ومن هذه الطائفة الاصم من المعتزلة وبض الخوارج . وهذه الطوائف على اختلاف آرائها وتباينها اتفقت على انه

لا يصح اسناد هذا المنصب الخطير الا الى الملم بتعاليم الاسلام البصير بمصالح المسلمين الوائف على سياسة الممالك وتدير الامم اما اشتراط النسب القرشى فقد اختلف الناس فيه اختلافا كبيرا فمنهم من ذهب الى عدم وجوبه اما المثبتون فقد استدلوا باجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحتجت قریش على الانصار لما هموا ببيعة سعد بن عباد وقلوا ما امير ومنكم امير بقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قریش فحججوا الانصار ورجعهم عن قولهم وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد اما الذين ذهبوا الى عدم اشتراط النسب فقد نظروا الى قوله صلى الله عليه عنه لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته ولما دخلتني فيه الظنة . الرقابة على مصالح المسلمين والنظر في سعادتهم ورفقهم لا تخص القرشى بل قد يكون غيره ابد منه نظرا واسمى فكرا واكثر غيرة وسهرا على المصالح العامة . اما ما قاله صلى الله عليه وسلم فهو من الامور السياسية المنوطة بمصالح البشر المتغيرة بتغير الزمان والمكان المتبدلة بتبدل الملة وتختلفها قال ابن خلدون .

ونحن اذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشى ومقصود الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم لان التبرك ليس من المقاصد الشرعية فلا بد اذا من المصلحة في اشتراط النسب وهي المقصودة من مشروعيها واذا سبرنا وبحنالم نجد هاسوى اعتبار العصبة التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف الفرق بوجودها لصاحب المنصب فتسكن اليه الملة واهلها وينتظم حبل الالفة فيها وذلك ان قریشا كانوا عسبة مضر واصلمهم واهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر النزة بالاكثرية والعصبيية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكفون لغلبهم فلو جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفهم وعدم اقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر ان يردوهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكرة فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع يحذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم لتحصل اللاحمة والعصبيية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قریش لانهم قادرون على الشؤون بعصا الغلب الى ما يراى منهم فلا يخشى من احد خلاف عليهم فاشتراط نسبهم القرشى في هذا المنصب وهم اهل العصبيية القوية ليكون ذلك ابلاغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر اجمع فاذعن لهم سائر العرب واتقادت الامم سواهم

الى احكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد فاذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلبة وعلمنا ان الشارع لا يخص الاحكام بجبل ولا عصر ولا امة علمنا ان ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتبهة على المقصود من القرشية وهى وجود العصبية فاشتربنا فى القائم بامور المسلمين ان يكون من قوم اذن عصبية قوية غالبية على من معها لعصرها ليستبعدوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية اه بعض تصرف فيؤخذ من ذلك ان الامامة العامة والخلافة تابعة للعصبية فالوقوف عند النسب القرشى وتطبيقه على كل طبقة من طبقات الامم الاسلامية وكل جيل من اجيالها جهل بالحكم الشرعية والتعاليم الاسلامية القويمة. بقى علينا ان نبين رأى ابن الوليد ابن رشد فى الامام او حاكم المسلمين العام. يرى ابن رشد (١) ان اساس الجمهورية هو المساواة بين الناس فى كل الحقوق السياسية والمدنية واعتبار الجمهور غير متفاوتين فى شئ من الحقوق العامة فكل واحد مسؤول امام الله والتاريخ عن حماية دينه من الفوائل والدود عن حياضه والدفاع عنه ما استطاع فليس النظر فى دفع الطوارئ ورفع الفوائل وتكوين ما اعوج من الامور مخصوصاً بطائفة او جماعة وليس لقرشى او هاشمى فى ذلك فضل او ميزة على غيره ولقد قرر هذه الاصول رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الناس سواسية كاسنان المشط لا فضل لعربى على اعجمى انما الفضل بالتقوى وبقوله فى اخريات ايامه ايها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منى ومن كنت شمتت له عرضا فليستقد منى ومن اخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ولا يخشى الشحاء من قبلى فانها ليست من شأنى . الا ن فضوح الدنيا اهون من فضوح الاخرة

فهذا يدل على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى نفسه كغيره فى الحقوق المدنية فليس بسليطان مسيطر بل بمشتر منذر مبلغ للناس ما اوحى به اليه (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى) (فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر)

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يول للمسلمين اماما ينظر فى شؤنهم ويحافظ على مصالحهم لان ذلك من ضروب السياسات التى ينبغى ان تنظر الامة فيها بنفسها فتولى عليها من ترى فيه الكفاية للقيام باعباء الخلافة فاختارت الامة

يؤخذ ذلك من كتاب الجمهورية الذى فقد اصله العربى ونقل من العربية الى الفرنسية

بعد رسول الله ابا بكر اماما وخليفة فسار على اقوم طريق ثم عهد عند موته لعمر بن الخطاب تاركا الامر للامة فانها هى المرجع الاعلى العلمية بمصالحها وامورها وقال فى خطبته من رأى فى اعوجاجا فليقومه اشارة الى ان الخليفة ليس بسليطان قاهر يعمل ما يراه وينفذ ما يشاء بل بقاء الخليفة منوط بنظره الصائب وفكره الثاقب وسهره على مصالح العباد ولذلك قال له احد الاعراب لورأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا لعلمه بان وظائف الخليفة لا تتجاوز النظر فى المصالح العامة وتأمين السعادة والرفاهية للمسلمين

وقبل ان يلاقى عمر ربه فوض الامر الى رؤساء الامة وكبارها العلميين بمصالحها الواقفين على امورها ولم يشرك بهم ابنه مع انه كان من الرجال المعروفين بالتقوى والخبرة ليكون بعيدا عن مواطن الشبهات ولما آل الامر الى عثمان فعلى معاوية سن هذا الاخير تلك السنة وهى ولاية العهد لابنه وهو يعلم ان ابنه ليس اهلا للملك فانه لم يكن بذى الدين المتين والخبرة بالمصالح وانما لانتسى ما اتبعه معاوية من القسوة والغلظة فى اكراه الناس على بيعة ولده . ولقد كان حمل معاوية هذا سنة لغيره من امراء الاسلام. ويرى ابن رشد كما يرى كثير من الفقهاء ان البيعة على هذه الصورة غير صحيحة وان الخليفة الذى نصب على هذا الوجه لا يمثل المسلمين ولا تجب طاعته فالخليفة الذى يمثل المسلمين حقيقة هو الذى يتولى الامر والمسلمون عنه راضون والقلوب حوله ملتفة حتى اذا قال شيئا صغت اليه الاذان وتطاطأت له الرؤس ودانت له الرقاب .

أثر فلسفته فى اوربا

يرجع الفضل فى نشر فلسفة ابن رشد الى تلاميذه اليهود الذين اقام بينهم فى (اليسانه) منفاه كان الله ابتلاء بهذا النفى لحياء فلسفته ونشر تعاليمه وآرائه . واول من اشتغل بدرس فلسفة ابن رشد بعد وفاته عالم من علماء اليهود وكبير من كبرائهم يدعى موسى بن ميمون احد تلاميذ ابن رشد اشتغل هذا الرجل بدرس فلسفة استاذه مع مقاباتها بفلسفة ارسطو الاصلية فاستخرج من الفلسفتين فلسفة اخرى اراد تطبيقها على الدين اليهودى رغبة فى التوفيق بين الحزبين اللذين استعرت بينهما الفتن وقامت الحروب الجدلية زمنا طويلا غير ان سعيه كان هباء ودعاؤه كان صراخا فى الفضاء

ولما فر اليهود من الاندلس الى الاقاليم المجاورة لجبال البرنيه بسبب الاضطهادات التي لحقتهم هجروا اللغة العربية التي كانوا يكتبون ويؤلفون ويدرسون بها لانه ليس من حاكم يحميها ويدافع عنها بل كم مصايب كانت تنصب على رؤوس المتكلمين بها والمشتغلين بدراستها فرأى اليهودان من الزم الواجبات ان ينقلوا كتب الفلسفة العربية الى اللغة العربية حتى لاتدرس وتزول واول من قام بهذا العمل اسرة طيبون التي غادرت الاندلس الى مدينة لوتل في فرنسا فترجم موسى بن طيبون وصمويل بن طيبون بعض ملحقات ابن رشد في فلسفة ارسطو

ولما تبوأ الامبراطور فردريك الثاني عرش المانيا عهد الى كثير من الفلاسفة والكتاب ترجمة كتب كثيرة من العربية الى اللاتينية . واول من ادخل فلسفة ابن رشد في اوربا مخائيل سكوت الطليطلي في سنة ١٢٣٠ وكان من المقربين الى الامبراطور المذكور وبعده قام هرمان الماني فحذ احذوه . ومن عهد اليهم الامبراطور المذكور ترجمة كتب الفلسفة العربية يعقوب بن مريم بن ابي شمسون من اليهود الذين اقاموا في نابولي فترجم هذا الرجل كتباً عديدة من مؤلفات ابن رشد وقدمها لامبراطور المانيا سنة ١٢٣٢ . ومن هؤلاء الكتاب ايضا يهوذا بن سليمان بن كوهين الطليطلي الف سنة ١٢٤٧ كتابا سماه طلب الحكمة اعتمد فيه على فلسفة ابن رشد وتعاليمه . اما سبب محبة هذا الامبراطور للفلسفة العربية وسعيه للتواصل في نشرها وغمر المشتغلين بترجمتها بالنعم والعطايا الجزيلة حققه على تعاليم الدين المسيحي وعلى المشتغلين بنشره فان اصوله لم تين على اساس صحيح يلائم الفطرة ويؤاخي بين المنطق والعقل . وما زال العلماء يشتغلون بالترجمة والتلخيص حتى انه مالتصف القرن الثالث عشر الاو كثر كتب ابن رشد الفاسفية مترجمة باللغة اللاتينية

ولما انتشرت فلسفة العرب في اوربا وخضعت لسلطانها القلوب ودانت لها العقول قام لمحاربتها رجال الدين فنشروا المنشورات العديدة يحثون الناس فيها على عدم الخوض في الفلسفة العربية والانكباب على دراستها وتحصيلها ولما لم يجد نصيحهم نفعا ولم ينتج فائدة بل كانت سببا في توجه انظار الناس الى تلك الفلسفة التي يعادونها ويحاربون نشرها ودراستها وضعوا عقوبات شديدة لمن لم يصغ لقولهم ويصغ لدعائهم ولكن اتى لهم ذلك وقد اشربت القلوب حب العرب وتعاليمهم . ولما رأى ان طريقهم هذه جمعت الناس يقبلون الى درس الفاسفة العربية وتعليمها

قام نفر من علماء اللاهوت واشتغل بالفلسفة العربية بغية ان يتخذ منها معاول يتنص بها اركانها ويدك اساسها فقام من بين اولئك اللاهوتيين غليوم دوفرن فحمل على فلاسفة العرب حملة منكرة واخذ يرمى فلا سقمهم بانواع السباب وضروب الشتائم والقذف اذ كان نصيب ابي علي بن سينا من هذا السفسه اكثر من غيره غير ان هذا الرجل وان قذف فلاسفة العرب بقذف كان يحزل الثناء والمدح على ابن رشد فانه كان يقول ان ابن رشد هو الفيلسوف العاقل الرزين وان تعاليمه التي ذاعت شوهها تلاميذه . ولمامات غليوم دوفرن قام بعده البير الكبير وكان هذا على عكس غليوم فانه كان المحب الاوحد لديه من فلاسفة العرب هو ابن سينا اما عدوه الادلو وخضمه العنيد فهو ابوالوليد بن رشد فكان كما جرى ذكره على لسانه رماه بانواع الفحش والسباب من جراء خيالته لابن سينا في بعض المسائل وردده عليه في كثير من اصول الفلسفة

وبعد موت البير الكبير قام استاذ اللاهوتيين الاكبر وشيخهم الاعظم لقديس قوما فخر الكنيسة الغربية . قام هذا العالم لكبير واشتغل بفلسفة ارسطو نفسها واستخرج حسب ماوصل اليه اجتهاده اصولا هدم بها اساس الفلسفة العربية والمسائل التي تصدى للرد فيها على العرب هي ازالة المادة . ارتباط المبادئ الاولى التي صدر العالم عنها . استعالة الخلق بلا واسطة . النمو وانتولد هذه هي المسائل التي هدمها القديس توما لانها في نظره اساس الفلسفة وركنها . ولقد انكر القديس توما على ابن رشد رايه في اتصال العقل الفاعل بالمثل المنفصل واتصال العقل المفارق بالانسان فقال انما لانقل شيئا الابعد انعكاس صورته في الازهان لذلك يستحيل على المادة ادراك العقل المفارق لها ولقد وجدت هذه لانزل قبولاً من كثير من تلاميذه غير ان فريقاً آخر لم يتأثر بتلك الاقوال السفسطائية بل خالف رأى استاذه وبقي على رأى ابن رشد

وان من يلاحظ الوقت الذي كان فيه القديس ذلك الوقت الذي كثر فيه اعداء العرب والناقون على تعاليمهم وفلسفتهم يرى من السهل جدا قيام الكثيرين لبعرة القديس توما ووافقتهم لكل ما يراه ان حقا اوبا طلا مادام يتماق بهم فلسفة العرب ونقض اساس تعاليمهم . ولقد تركت مباحث القديس توما اثره كبيرا في الكنائس اللاهوتية حتى انه لمامات صوره بصورة المنتصر على كل الفلاسفة الذين تقدموه اما الصورة فتمثل في اعلاها القوة الالهية تحيط بها الملائكة

ومنها ينعكس النور على مدهى والانجيليين الاربعة والرسول بولس وجميع هؤلاء واقفون في السحاب وتحت السحاب صورة القديس قوما تنعكس على وجهه تلك الانوار ثلاثة اشعة خاصة صادرة اليه من النزة الالهية نفسها

وفي جانبي الصورة بحذاء كتف القديس تومارجلان يمثلان ارسطو وافلاطون في يد كل منهما كتاب يخرج منه شعاع من النور ينعكس على راس القديس توما وتحت قدميه علماء الكنيسته الذين سبقوه تنعكس عليهم اشعة النور المنبعثة من كتبه الموضوعه فوق ركبتيه ومن هذه الاشعة شعاع يصيب ابن رشد ساقطا على الارض هو وفلاسفة العرب دلالة على ان القديس توما انتصر عليهم جميعا . ولمعات القديس توما ترك الفلاسفة اللاهوتية قوة كثيرة الاتباع غير ان الفلسفة العربية كانت اقوى منها وانصارها اكثر لان القديس توما لولاما احاطت به من الظروف ولولا الاساليب الخلوثة التي كان يتبعها لتأييد آراء وهدم مذاهب خصومه ما اشتهر هذه الشهرة وما قدسته الكنيسة هذا القديس

وبعد موت القديس توما اخذت الفلسفة العربية والفلسفة اللاهوتية ادوارا مختلفة فمرة يكون النصر لعلماء اللاهوت واخرى للعرب وبعد ان جاء انصار الفلسفة الحديثة وضعوا نظرا ياتهم المبني على التجارب والملاحظات لاعلى الظن والتخمين ومن ذلك الحين لم تنهض الفلسفة لهما لم تستطع الظهور امام هذه القوة الجديدة

حافظ وهبه

أسئلة واجوبتها

رؤية المخطوبة قبل الزواج

سؤال — سيدى اطلعت في العدد الرابع من الهداية على سؤال في رؤية المخطوبة وقد كان الجواب ان الشرع يبيح ذلك واستشهدتم على ذلك بما تيسر من الاحاديث الصحيحة فمن لى بعض اسئلة حول هذا الموضوع .

اولا — كيف تكون هذه المقابلة وعلى اى شكل يكون النظر وهل لم يوجد نص في الحديث او غيره يبين لنا ذلك وهل يحسن ذلك في هذا العصر الذى كثرت فيه المفاسد والخبائث ،

ثانياً — هل تكفى هذه الزيارة وهذا النظر للفحص عما استكن من اخلاق

تلك المخطوبة التي بهذه الزيارة ستكون امرأة الحياة كلها مع ان العروس قد تكون على عكس ذلك . ولا يخفى ما يحدث ذلك في المستقبل من الشقاق وحينذاك كان النظر لفراق الزوجين لا لالتقاءهما وناهيك بما تعمله المسلمات انيوم من محاكاة الافرنج حتى لقد اصبحن اكثر ممن تبرجا وحبا لهذه الاعمال التي اسقطت من قيمة النساء المسلمات بين العالم .

ومن الجائز ان المخطوبة تعرض على نفر فتقبل وتعرض على عشرات الشبان فلا تقبل . وقد يتخذ الشبان ذلك ذريعة يتوصلون بها الى الفتيات وعلى كاتنا الحالتين تفسد بذلك اخلاق الشبان والفتيات ،

ثالثا — ان تلك المخطوبة ستكون مضغة في افواه الناس في الاسواق والبيوت وتعلمون ما يترتب على ذلك من تسوء سمعتها وكساد سوقها . ارجو الاجابة ولكم الشكر (١)

الجواب — لا جرم ان ما ذكرتموه من عدم كفاية النظر الى المخطوبة في سبيل التحقق من اخلاقها وتعرف اطوارها واحوالها امر لامراء فيه فان ذلك مالا يمكن مفرقه بالنظرات بل ولا بالمشرة القليلة ولهذا نجد الامم التي تبسح معاشرة المتزاجين قبل عقد الزواج كاهل اروبا وامريكا يتجادعون في تلك المدة حتى انه ليكون في الزوج او الزوجة من الاخلاق والاطوار والعيوب ما يقع الامعان في كتابه وستره حتى لا يكاد يظهر له اثر الا بعد البناء بالفعل اذا فلمعرفة احوال الزوجة وعيوبها الخلقية طريق واحد هو استنصاح من يتيسر لهن مخالطة المخطوبة من النساء اللاتي لا يبنين سوى الصدق وقول الحق فلا يكن ممن يملن اليها فيفرطن في الثناء والاطراء ولا ممن يبنينها فيقصرن في وصف حقيقتها ظلما وحسدا .

اما ان النساء اليوم يكثرن من النظرية والتزويق والتحلية فهذا امر مسلم ايضا فلقد بلغ بالنساء الافراط في ذلك حدا اصبح فيه الغش والتغريير من اقرب النتائج ولكن للنظرات الصادقة غير الطائشة قدرة على مغالبة تلك التزيينات والتغفل خلال تلك الحجب حتى تبلغ الحقيقة او تكاد .

على ان في النظر الى المخطوبة معنى آخر غير معرفة مبلغ الجمال وهو معرفة

ما بين المترايين من تشا كل الارواح او تناكرها فان الارواح كما في الحديث الشريف جنود مجنده فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

ليس معيار ما يكون بين المتراوجين من الالفه او الاختلاف هو ما في الزوجة من الجمال او القبح وانما معياره ما يكون بين الارواح من التعارف او التناكر وما لا ريب فيه ان تعارف الارواح او تناكرها لا يعرف الا من طريق النظر ووقوع البصر على البصر وهذا سر قوله عليه السلام (هلا رأيتها) فانه اخرى ان يؤدم بينكما) ودلانا على ما قررنا هنا انه كم من شوهاء نالت من الخطوة والمكانة عند زوجها ما لم تنله الجميلة الوجه المشوقة القد الكيسة الظريفة . وكم من زوجة جميلة احبت زوجها حتى لا يكاد يعدله على قبح خلقته من هو احسن منه وجها واقوم قدا . اذا فسر الترغيب في النظر الى المخطوبة هو هذا الذي ذكرنا وبما ان هذا الزمن عرف بفساد اخلاق اهله ذكورا واناثا يحسن ان يحتاط في ذلك جد الاحتياط فلا تباح نظرة الرجل لمخطوبته الا بعد ان يكثر من استيعافها فيحصل من ذلك على ما يحدث في نفسه الطمأنينة لها والرغبة في معاشرتها . عند ذلك يحسن النظر اليها ما دامت الرغبة صادقة والنية حسنة ، فاذا ما دلت النظرات على عدم تشا كل في الارواح فخير لهما ان يفترقا بمعروف واحسان كما التقيا كذلك . اما اذا خيف من الخاطب الا يكون صادقا حسن انية فلا يجوز تمكنه من رؤية مخطوبته . على ان الفاسدين المفسدين من اهل هذا العصر لا يتوقفون في ايداء الحرائر وتسوية سمعة البيوت الكريمة على مخالطة او رؤية فانهم يلتقطون اخبار البنات من افواه اقربائهم او غير اقربائهم ثم يحملن فكاها سمرهم وموضوع احاديثهم فامثال هؤلاء الضالين المؤذين لا يمكن التباعد عن شرهم واذاهم الا بهجرانهم والصبر عليهم حتى تقوم حكومات اسلامية تعرف كيف تربي الاخلاق وتضع من الزواجر ما يصالح شئوننا الاجتماعية .

وبالجملة فان للنظر الى المخطوبة حكمة عرفها ولكن ليس معنى هذا التساهل في ذلك بل يجب اتخاذ الحيلة جهد الاستطاعة

وقد كان من علماء الاسلام من يدعو الخاطب الى منزله بعد التحقق من صدق الرغبة وحسن النية ثم يطلب ابنته المخطوبة لتسقى الضيف شيئا من القهوة ثم يأمرها فتجلس في حضرة خاطبها ووالدها زمنا ما . ونحن نرى ان هذا اقتدر كاف واف بالغرض الذي شرع له النظر

الاحاديث

الموضوعة في تقويم

ديوان الاوقاف

طبعت الاوقاف المصرية تقويما صدرت كل يوم من ايامه بحكمة وعظة ولكن واضعى هذا التقويم لم يكتفوا بمجرد ذكر هذه الحكم والمواعظ بل عزوها الى الحضرة النبوية وما في من الحديث في شيء لذلك تصدى الاستاذ الشيخ محمد شاكر وكيل مشيخة الازهر لبيان الحقيقة في تلك الماثورات حرصا على الدين وغيره على حديث سيد المرسلين

وقد اطعنا في جريدة الشعب على بمض مانشره الاستاذ الشيخ شاكر في ذلك فاجبتا تسجيله في الهداية لمانته وحصافة . قال الاستاذ

نشر المؤيد في محيلاته من العدد ٦٩٥٧ الصادر يوم الخميس ٣ جمادى الاولى سنة ١٣٣١ - ١٠ ابريل سنة ١٩١٣ مذكرة رفعها حضرة محمد بك المويلحي للسعادة مدير الاوقاف جمعت خلاصة مدار بيبي وبين ديوان الاوقاف من المكاتبات في شأن الاحاديث الموضوعة في التقويم التي توخى سعادة الشيخ على يوسف مؤسس المؤيد وشيخ سجادة السادة الوفاية ان يتكلم عنها كل يوم في المؤيد وقد علق على هذه المذكرة ماشاء ان يعلق وطلب الى هذا العبد الضعيف في خاتمة تعليقه ان يناقش الموضوع مناقشة المحدث المحقق افادة لقراء المؤيد وطلبا لاطهار الحقيقة ليس الا

فمحنت نجيحه الى ما طلب ونعتب عليه انه تسرع في الحكم بصحة نسبة هذه الاحاديث الى الكتب التي اسندت اليها اعتمادا على مذكرة المويلحي بك ولوثبت حق في علم نصيب هذه المذكرة من الصحة لانصف الحق والحقيقة واحسن الى رجل يحسبه في جملة اصدقائه

كتبت الى الاوقاف بعد ما اجابني بان احاديث التقويم منسوبة عن الجامع الصغير والجامع الكبير للسيوطي والنوافج العطرة في الاحاديث المشهورة والحكم والاحكام انبه بان لا تتحقق من صحة هذه النسبة اخذت تقويمها فرتبه على حروف الهجاء لمراجعة احاديثه في الكتب المذكورة وقد انجزت منها حرف الالف والباء والتاء

فكان مجموعها مائة حديث وعشرة . منها اثنان وخمسون اكثرها لم انف عليه في شئ من هذه الكتب وبعضها موجود بلفظ مخالف للموضوع في التسليم وارسلت الى الديوان نسخة تلك الاحاديث واعدا بذكر ما يظهر في بقية الحروف (وسأفعل ان شاء الله) وطالبت المولى بك ان يبرئ نفسه من تهمة الكذب . على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان المواضع التي اخذ منها هذه الاحاديث . وماذا عسى ان يفعل من احيل الى كتاب للتحقق من صحة النقل فلم يجد طلبته فيه الا ان يطالب من الناقل ببراءة نفسه ببيان مواضع نقله اعاد الديوان الى نسخة الاحاديث ومعهما مذكرة من المولى بك وامام كل حديث ماخذه من تلك الكتب بنمرة الصحيفة التي هو فيها ولو نشر المؤيد المذكرة وتعليقه عليها لما ترددت في اجابة سعادة مدير الاوقاف الى طلبه غلق هذا الباب منعا للتشويش الذي يحصل ولجملت جوابي عن المذكرة خاصا بسعادته كما فعلت قبل ذلك

يقول المولى بك انه والى الاحاديث وامام كل حديث ماخذه من تلك الكتب بنمرة الصحيفة التي هو فيها ولكني مع ذلك أقول له ان من بين الاثنين والخمسين حديثا أربعة وثلاثين حديثا لا توجد في الجامع الصغير ولا الكبير ولا النوافج العطرة ولا في الحكم والاحكام وبقاياها . موجود بلفظ مخالف للموجود في التوقييم بالرغم عن الصحائف التي أشار اليها يوجد في الكتبخانة الخديوية في فن الحديث تحت نمرة ٥٢٢ كتاب النوافج

العطرة وهو مرتب على حروف المعجم وينتهي حرف الياء منه بصحيفة ١٢٨ وتبتدئ صحيفة ٢٢٩ بالبسملة ثم مانعه وما ورد من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرف الالف بلفظ الامر خطاب المفرد اذكر تنعم اكشف تسلم ارحم ترحم الخ (وقد نهت الكتبخانة على ذلك في الفهرست المطبوع صحيفة ٤٠٤ جزء اول) وهذه المنشورات لا يعرف لها مؤلف ولا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا منها قبل التثبت من صحة نسبه اليه يراجعته في الكتب الموثوق بمؤلفيها فهذه الاربعة والثلاثون حديثا التي ذكر المولى بك انها موجودة في النوافج العطرة انما هي من هذه المنشورات التي لا يعتد بها محدث ولا غير محدث ولو أنعب المولى بك نفسه وراجع الفهرست المطبوع للكتبخانة لانسقط

هذه السقطة ولوانتم النظر قليلا لا درك الفرق بين هذه المنشورات وبين النوافج العطرة التي التزم مؤلفها في مقدمتها ان يذكر ماخذ كل حديث وانه صحيح او ضعيف او موضوع (وهنا يحسن ان استعطف سعادة الشيخ على يوسف لان يتنازل ويזור الكتبخانة الخديوية ليطلع بنفسه على النوافج العطرة وما الحق بها فظنه المولى بك من جملتها)

وحسبنا هذا برهانا على ان واضع احاديث التوقييم حاطب ليل وان احاديث التوقييم لا يوثق بشئ منها الا بعد الاطلاع عليه في كتب السنة وان نشرها بين عامة المسلمين على هذه الصفة ضرره اكثر من نفعه

هذا ما يتعلق بتصحيح النسبة الى الكتب الاربعة في احاديث حروف الالف والباء والتاء ولو ناقشنا تلك الكتب مناقشة المحدث المحقق كما يريد المؤيد لقلنا ان المسند من هذه الاحاديث لا يبلغ الثلاثين والصحيح منها لا يبلغ العشرة و اكثر العشرين صرح ائمة الحديث بضعفه أما الثمانون الباقية وهي المنقولة من كتاب الحكم والحكام والمنشورات التي حسبها المولى بك من النوافج العطرة فنقطع الاسناد لا تقوم لها قائمة عند عامة المحدثين ولا يستيحيون لاحد ان يسندها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول (حديث شريف) قبل الاطلاع على طريق اسنادها ومبلغه من الثقة والامن وحق يكون القراء على بينة من ذلك يحسن أن أرجع بهم الى المكتبات الاولى التي دارت بيني وبين الاوقاف ليكون ما أضعه اليها في هذه الرسالة بمثابة التكميل والايضاح

تقويم ديوان الاوقاف بمصر

وضع ديوان الاوقاف بمصر تقويما للعام الهجري الحالي وصدر كل يوم بحديث زعم انه من الاحاديث النبوية وقد شغف صاحب السيادة والسعادة الشيخ على يوسف بهذه الاحاديث فجعل يخوض كل يوم في شرحها وبيان مفازها ولقد كنا نزجوا الايترض لها لما يعلمه هو من جهله بالاحاديث ومرتباتها ولكنه قن بما فيها من المعاني فجعل يصدر بها كل يوم ما يصدر من المؤيد مفرقا في شرحها ولكن رقباء الشريعة وحماها لم يتركوه مستمرا في طريقه هذا بل نشروا في الجرائد ما فيه بلاغ للعاقين

ومن ذلك ما نشرته جريدة الشعب لوكيل الازهر في مصر تنشره هنا
تعميماً للفائدة وهذا نصه

الاحاديث الموضوعة في تقويم المؤيد

اعدت لديوان الاوقاف تقاويمه المعبودة على نفقته لاشغالها على احاديث
منقولة عن كتاب الجامع الصغير والجامع الكبير للسيوطي (وكلاهما يدرس في
المساجد الشهيرة) ومن كتاب النوافح العطرة في الاحاديث المشتهرة للقاضي محمد
بن احمد مجموعا من الدرر المنتثرة للسيوطي أيضا ذكر فيه طريقة اختصاره للروايات
وما للاحديث من الصحة والضعف ولم يأخذ فيه الا ما صح اسناده وروايته ومن كتاب الحكم
والاحكام من كلام سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام للعالم زاهد عبد الواحد بن محمد بن
عبد الواحد ذكر في مقدمته انه جمعه من الصحيحين وما قرأه على حجة الاسلام
الغزالي في سنة عشرين وخمسينه وما رواه الامام ابو طالب المكي والقاضي
ابو نصر الموصلي والامام ابو الليث السمرقندي

هذه اول فقرة من ذلك الكتاب فكان جوابي عنها اني عجبت لمن وضع
احاديث التقويم لديوان الاوقاف ماله يتنكب عن الكتب المسندة المعروفة
المتداولة المجردة من الاحاديث الموضوعة باجماع المحدثين الى كتب غير مسندة
ولا مجردة من الموضوعات ولا معروفة ولا تكاد توجد منها نسخة صحيحة في
مكتبة خصوصية او عمومية

أما الجامع الكبير للسيوطي فقد قسمه مؤلفه الى قسمين ولا يوجد منه في
الكتابخانة الخديوية سوى قطعة من حرف الالف من القسم الاول فقط
(خلا قطعة أخرى لاتزال مبعثرة في الدشت) فليس هو مما يدرس في المساجد
الشهيرة (كما يقول الاوقاف على ان علماء الحديث لا يجهلون ان هذا الكتاب
من الجوامع التي تجمع الصحيح والضعيف والموضوع

وأما النوافح العطرة فلا يوجد منه في الكتيبخانة الخديوية سوى نسخة واحدة
محررة لا يعتمد عليها وقد نص مؤلفه في مقدمة على انه لا يخلو من الاحاديث
الموضوعة (لا كما يقول الاوقاف انه لم يأخذ فيه الا ما صح اسناده وروايته)
ومؤلفه ليس من المعروفين بصناعة التحديث وانما هو من اهل القرن الحادي
عشر .

وانذى أدين الله عليه ان النوافح العطرة لو كانت أصح كتاب في الحديث
ماساغ لاحد ان ينقل عن نسخة الكتيبخانة الخديوية فقد بلغت من التحريف
مبلغا يرفع ائمة بها ومن شاء من القراء ان يتحقق ذلك بنفسه فليذهب الى
الكتابخانة وليقرأ صحيفة من الكتاب وليحكم بعد ذلك بما شاء

وأما الحكم والاحكام فالموجود منه في الكتيبخانة الخديوية نسخة سقيمة
لا يعتمد عليها (ولا يقل تحريفها عن تحريف النوافح العطرة) ومؤلفه لم يسند
ما فيه من الاحاديث اسنادا يصح الاعتماد عليه عند المحدثين (على أن مؤلفه ليس
من المعروفين بصناعة التحديث) وقول الاوقاف انه ذكر في مقدمته انه جمعه من
الصحيحين وما قرأه على حجة الاسلام الغزالي في سنة عشرين وخمسينه لا يرفعه الى
درجة الثقة اذ لم يسند الى الصحيحين حجة الاسلام الغزالي في
جلالة قدره لم تسلم كتبه كلاحياء من الاحاديث الموضوعة. فما قرئ عليه لا يكون
أرفع قدرا مما خطه بيده . يعرف ذلك اهل النقد من المحدثين وقد استوعبت
تفاصيل ذلك كتب التخريج فلانطيل بذكره

هذا وقد أثبت التاريخ ان وفاة حجة الاسلام الغزالي كانت في سنة خمس
 وخمسينه وجملة القول ان كتاب الحكم والاحكام لا يمد من كتب الحديث في
شيء ولا تصح نسبة شيء منه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الجزم
فيقال (حديث شريف) الا بعد التثبت من اسناده

فلم يبق الا الجامع الصغير للسيوطي وهذا قد عني بشرحه الفضلاء وبينوا
ما يصح قبوله وما يجب رده

ثم قال الاوقاف في جوابه والذي ينقل الاحاديث عن مثل هذه الكتب
المتداولة منذ العصر الماضية وينشرها لتهذيب الاخلاق لا يقال عنه انه يعتمد
الكذب فان وجدتم في احاديث التقويم حديثا مكذوبا فالتبعة فيه على واضع
الكتاب لا على الناقل من كتب هؤلاء الاثمة وقد اجبت على هذه الفقرة الاولى
وانه ليس لواضع احاديث التقويم اذا جاء بحديث موضوع ان يلقى التبعة على
المؤلفين وقد فرغ المحدثون من نقد الحديث وبينوا المقبول من المردود . يعرف
ذلك اهل الحديث الماكفون على دراسته والمنقطعون لخدمة السنة الشريفة

ثم اقول اي دليل على ان كتاب الحكم والاحكام والنوافح العطرة والمنثورات
التي وضعت بجانبه تداولتها الايدي منذ العصر الماضية وهي لا يوجد منها سوى

هذه النسخة المملوءة بالتحريف ومن هو ذلك الامام الذي الفتلك المنشورات
التي اشتبهت على الموياسي بك والذي الف الحكم والاحكام حتى تكون التبعة
عليه لاعلى الناقل من كتابه كما يقول الاوقاف .
ثم قال الاوقاف في جوابه والشرط في مظنة صحة الحديث ان يكون مطابقا
لاحكام القرآن ولما كرم الاخلاق الواردة في الدين ولا يكون منافيا باى معنى لاحكام
الشريعة

فاجبته عن ذلك بان هذه مقالة لاتعرفها ولايقول بها احد من المحدثين
فكم وضع الموضوعون احاديث مطابقة لاحكام القرآن ومكارم الاخلاق ونسبوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الحجة فردها الحفاظ واهل النقد من المحدثين لالة
سوى الطعن على الراوى واتهامه بالكذب فليتنق الله وسلم عهد اليه اختيار احاديث
مكارم الاخلاق ان يقع في الاحاديث الموضوعية فيضل الناس بغير علم
ومن هذا البيان تعرف قيمة الكتب التي اعتمد عليها واضع احاديث التقوم
ولذلك ارى ان على ديوان الاوقاف بعد علمه بحال الاحاديث الموضوعية في تقويمه
ان يأمر بنزعها من المساجد وجمعها من أيدي الناس .
فقد طبعت نظارة المعارف منذ اعوام القرآن الكريم فظهر في الطبعه بعض
التحريف ولما نهت لذلك امرت بجمعه ووردت الى الناس اثمان ما اخذوه من
نسخه الشريفه . والله الهادى الى سواء السبيل .

• جادى الاولى سنة ١٣٣١

وكيل الجامع الازهر

محمد شاكر

الادب

في القرن التاسع عشر

للناضل كامل افندى حجاج

عبدالله افندى نديم

• صحا في شهر وكاتب اخلاقي اجتماعي طويل الباع في الخطابه . وكان اذا اقترح
عليه اى موضوع في محفل من المحافل قام بين الناس خطيبا مرتجلا طلق اللسان
فصيح الاثناء سريع الخاطر مستمرا في خطابه ساعيتين او ثلاثا دون ان يتعلم
لسانه . وهو الذى انشأ مجلة « الاستاذ » و « الطائف » و « التنكيك والتبكيك »
وفضلا عن نبوغه في النثر فانه مهر في الجون والازجال والمواليا وصحيفته الاخيرية
حافلة بهذا النوع وكان يعقب الموضوع الهزلى بالتبكيك والموعظة الحسنه .

ومن جيد مقالاته التي امكنني العثور عليها « بمن اقتدى اذا اختلفت الآراء »
و « هذه يدى في يدم من اعضها » و « حرب الأقلام بمجروش الاوهام » . ولندكر
قطعة من مقالاته الاولى لتقف على أسلوبه .

اقتد بمن اذا سبغت عليك النعم كان مهنتاً معك واذا نزلت بك مصيبة كان
لك معزيا فان اخلاص النصيح من غيره لايتأتى الا اذا عاد لبعطن امه وولد مرة
ثانية في ارض من ترابها جسمك وليدا وخدمت في اصلاحها شابا ودبرت شأنها
شيخا وكيف يقتدى العاقل بنازع عن دياره وقد لطف هواء وعذبت ماء .
وطابت مقرا . وكثرت خصبا . فلم يرض بما رضى به ابؤه . واستهجن ما استحسنه
اجداده وقطع رحما يجب صلتها عليه . »

وله رساله ضمن غالبا بالآيات القرآنية اولها :

« لاحول ولا قوة الا بالله . اشتبه المراقب باللاه واستبدل الحلو بالمر وبيع الدر
بالخزف والخزف بالخسف واطهر كل اثم كبره ان في ذلك لعبرة .

محمود افندى صفوت الساعاتى

ولد هذا الشاعر المجيد بالقاهرة سنة ١٢٤١ وانتقل الى الاسكندرية مع ابيه
وهو في الثانية عشرة ثم عن له حينما بلغ العشرين أن يحج البيت الحرام وهناك
التحق بأمر مكة الشريف محمد بن عون فكان له سميرا ومادحا لا يفارقه في حله
وترحاله وغزواته ولما عزل الشريف هاجر معه الى مصر ثم سافر الى الأستانة

بمعينه وفي عام منه ١٢٦٨ أب الى القاهرة وانتظم في سلك المعية الكخدائية زمانما
ثم تعين بجمعية الخديوى سعيد باشا ثم تقلب في عدة وظائف الى أن عين اخيرا
عضوا في مجلس احكام الجيزه والقديويه وتوفي سنة ١٢٩٨ .

كان من فحول الشعراء الملموعين رقيقاً حسن الذوق غزير المادة متوقداً للدكاء
نبح في عصر كاد الشعر فيه ان يندرس فهذه به واعلى شأنه في مصر والحجاز وزغ في سماء
التقريض شمساً مشرقة استنار بها كل من عاجل هذه الصناعة من مواطنيه .
ومن آيات بلاغته قصيدته الهمزية وبها تفجحت عظيمة في الفخر واولها .

رقت لركة حالتي — الأهواء وحنت على البانسة الهيفاء
ويكي الغمام على من أسف وكدت تمزق طوقها الورقاء
ماذا تريد الحادثات من امرئ من جنده الشعراء والامراء
دعها تمد كما تريد شبا كها (١) فلربما عقلت — بها العنقاء
انا ذلك الصل الذي عن نابه تلوى المنون وتلتوى الرقطاء
وفى هو القوس الأرن ومقولى ال وتر الشديد واسمى الانشاء
فكري نظم في البديع — فرائدا من دونها ما تلفظ الدأماء
وله من قصيده دالية مطلعها دعبنى فما في الأمر غير التواعد
فحق متى ادمان هذا التردد ومنها

الا في سبيل المجد نفس عزيزة يهز عليها ان تذلل لمعتد
فمالك لا تأوين لي من صباية رويدك ان الحسن غير مخلد
فكوني ككاش الوشاة وصدق زخارفهم واصنى لقول المنفد
فليست يد الهجران — قاتلة امرئ يهز من السلوان — كل مجرد
ومنها

فلا فضحت نظم الجمان قصائدي ولا بلغت بي رقي كل مقصد
اذا لم اطوق مجده — بفلائد بغير حلاها الدهر لم يتقلد
فرائد مدح في سلوك مناقب لمنفرد بالمكرمات مسود
وان لم اسير بالقوافي ركائبها فلا قيدت شعري محابر منشد

الشيخ احمد عبد الرحيم

ولد بطهطا ١٢٣٣ وتلقى العلوم العقلية والنقلية بالازهر ثم عين مدرسا
للنحو والصرف بالمدرسة التجهيزية فالهندسخانه فالحربية ثم اسندت اليه اخيرا

(١) الهداية : لا ندري كيف يلتئم البيتان اول القصيدة وما بهما ؟

رياسة تحرير الوقائع المصريه اشتغل بالاداب والنظم والنثر وله مؤلفات منها
« منفلوطة في الصرف » « ونهاية القصد والتوسل في فهم قوله لدور والتسلسل » ورسالة
في « في العروض والقوافي وجملة رسائل نحوية اخضرها النحلة الذهبية في علم العربية »
وديون مدائح نبوية لم يطبع مرتب على حروف المعجم سماه « در الشروق المنظم
في مدح النبي الاعظم » وكل قصيدة منه زهاء خمسين بيتاً . وله قصائد ومقطعات
عديدة جيدة منها ما كتبه لاحمد افندي فارس صاحب الجوائب بالاستانة في ذيل
رساله .

يا أيها البحر قد اهديتي دردا ياليت شمري ماذا اليوم اهديكا
اخلافك انش مثل الشمس ظاهرة فانت في غنية عن وصف مطريكا
اجال مدحك لا ارضى به — واذا فسدت اخشى قصورا ليس يرضيكا
فانما هو راح لست آمن من ا كثارها نشوة تنسى — معاليكا
انت الحظم لعلم — لامراء به فكفنه لالحلم وامنحني تفاضليكا
وقال — . يقول محرر الوقائع لما رأيت اللآلى من البحر . وقلاذتها لا تابق
الا بذلك النجر زواجته قصيدة مؤلف الجوائب فيه محافظا فيها على غر قوافيه
فانصرف معناها اليه وصار مقصورا عليه فحق لها ان تختال به في حليتها ولو كانت
بنت ليلتها . تجد اليها السرى . وهذا كاترى :

علم الهوى لم يبق في بقية فارادتي بابي وقال هدية
اهدى الى عبد الرحيم تحية غراء يصحبها الثناء الطيب
كم لي تقول امدحه مدحا — باهرا وارصد لخليته النجوم مساهرا
هني احبب — المدح لكن زاهرا ت صفاته كالزهر ليست تحسب

والقصيدة تبلغ ثمانية وثلاثين بيتا .

(١) الهداية : ان منزلة هذا الشعر ليست بالرفيعة لراقية ولقد يكثر فيه مع

ذلك الحشو

مظالم البلقان

التقرير العاشر

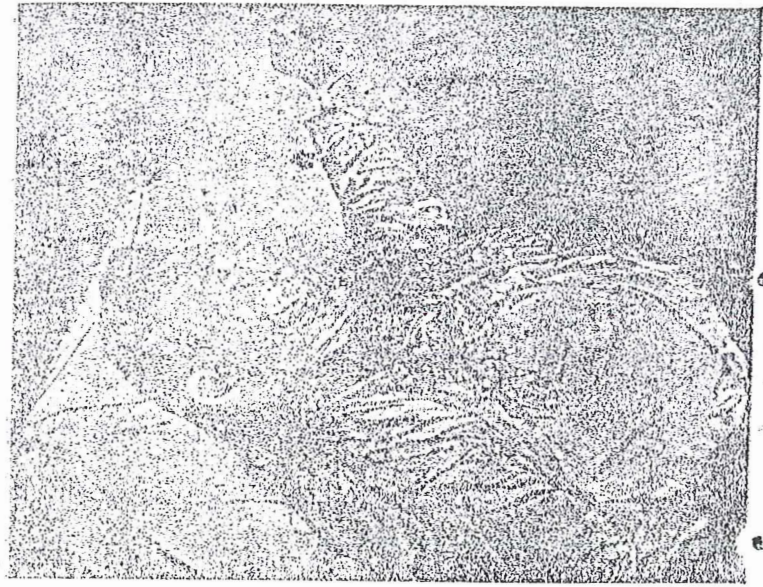
دخل الصرب قسبة قوادار مركز قضا تيكوش التابع الى سلانيك في ٢٣ تشرين الاول وكان قد سبقهم اليها عصابة بلغارية ومتى قيل عصابة يجب ان يفهم انها جماعة متوحشون يرتكبون جرائم القتل والنهب ونسف المباني بالمدمرات وسائر انواع الفظائع منذ سنين عديدة واكثر العصابات التي اشتهرت بالاعمال الهمجية التي يعجز الفكر عن تصورها في الحرب الحاضرة هي العصابات البلغارية ولكن حيث العصابة المذكورة اعلاه كانت تحت مراقبة الجنود الصربية ما تمكنت من اتيان جميع ماتوحيا اليه ضايرها الشريرة من القتل والسلب ولذا عدلت الى حيلة اقنعت بها ضباط الصرب للموافقة على اجراء المذابح وهذا ندرج به ما وقع في قسبة قوادار المذكورة من المظالم :

ذهب رجال عصابة البلغار بنفر صربي ليلة عيد الاضحى الى بيت حسين اغا في محلة بالا لاجل يتعهد بتدارك العلف اللازم لحيوانات الجند فما كان الا ان قتلوا النفر الصربي المرقوم واسرعوا الى ضباط الصرب واخبروهم ان الاسلام ناروا مسلحين وبدأوا يقتلون النصارى وقد قتلوا حتى جندياً صربياً امام بيت للمسلمين قاصر حينذاك الضباط رجالهم بان يطوفوا البلدة ويقتلوا كل من صادفوه من المسلمين وبذلك وجد رجال العصابة ضالهم وتحققت امنيتهم فجمعوا مع العسكر الصربي على المسلمين الذين لم يكونوا يحسبون ما خبا لهم القدر واعملوا في القتل والنهب يومين كاملين قتل في خلالهما قدر ١٨٠ رجلاً وهكذا كان المسلمون ضحية في عيدهم لامضحين وقائم مقام قضاء تيكوش الذي شاهد عياناً هذه الفظائع قبل لنا انه رأى بعينه عسكر الصرب ورجال العصابة يسحبون رجلاً هرباً مسلماً يدعى محمد على افندي بحجة ايصاله الى المحكمة ثم قتلوه بالرصاص امام عائلته وفي نفس الشارع قتلوا شاباً يدعى علي وهو الولد الوحيد لوالده العجوز. وكان عدد القتلى في المحلة التي كان يسكنها القائم مقام المومي اليه ١٢ رجلاً ولما النهب والتسلط على لاعراض كان وقع بالمطلع ما يكون قبل الابتداء بالقتل بحجة التفتيش على السلاح كما هي العادة لانه ماتخلص عرض امرأة او بنت من الهتك ولا يخزن او بيت من النهب .



كيف يمثل الصليبيون بنساء المسلمين

وقد ذكر لنا الحوادث الاثاثية خصوصاً من بين مئات من الفظائع التي وقعت : دخل بعض الجنود الصربيين الى بيت صادق بك حاكم درينوا وربطوه وتجاوزوا الى عرض زوجته وشقيقها السكيتين امام عينه وبعد ذلك نهبوا جميع ما في البيت وقد فاق الضباط الصربيون افراد العساكر ورجال العصابات البلغار. في ارتكاب الدناة والفظائع فانهم عرفوا قد عشرين بيتا يسكنها نساء وبنات جيلاات وفي المساء دخلوا عنوة تلك البيوت وهتكوا اعراض النساء والنبات الاتي فيها . وبلغنا ايضا انهم اذاقوا قائم مقام تيكوش انواع العذاب والاهانه .



ضابط عثمانى مثل به العدو وثم ارسله الى المعسكر العثماني بشتاجله

في ملحقات تيكوش

كانت المذابح والرفات في ملحقات تيكوش اكثر منها في قوادار مركزز القضا وبعد احتلال القضا بيومين شكل الاهالى البلغار في مزعة تريستويك عصابة وذهبوا الى مزرعة حسين كهيا وقتلوا وكيهه في الساعة التاسعة من ذات اليوم وقتلوا المزارع ابراهيم احد مهاجرى البوسنة والهرسك بالحرايب مع زوجته ووالديه وولديه الصغيرين ثم حرقوا جثثهم بالغاز . وقد رموا حياً في التاسعة من عمره يدعى ابراهيم في النار التي احرقوا بها جثث المذكورين ولكن من هول الموت تمكن من التخلص من النار واسرع فاراً من ايدى هؤلاء البرابره .

والذى نقل لنا هذه الفاجعه رجل مسيحي يدعى ميلكوف من قرية روشدان وقد شاهد ذلك بعينه

في سيرقوا

سيرقوا قرية تحتوى على ٢٢٠ بيتاً . ذبح فيها ٢٨ رجلاً من جماعتهم بشار آغا الذى في سن السبعين وولده حسن وآخر يدعى صفر شاوش واخوه محمد وقد امر الصرب المسلمين بالخروج من بيوتهم مع عائلاتهم وطردوهم الى خارج القرية حيث ربطوا الرجال وقتلوهم بالحرايب وهتكوا اعراض النساء وسلبوا جميع ماعليهن وانشاء ذلك كانت البيوت تنهب من جهة اخرى .

في بهوله

بهوله قرية تشتمل على ٦٥ بيتاً للمسلمين و٢٥ بيتاً للمسيحيين ومعاونة رجال العصابات فتك مسيحيو القرية بالمسلمين ونهبوا البيوت وتفصيل ذلك انهم ساقوا جميع الاهالى المسلمين الى خارج القرية فربطوا الرجال بحبال وقتلوهم بصورة فضيحة وعدد القتلى ٤٥ من جمله سليم شاوش واحمد آغا والمطار سليمان والمزين خليل وخليل خواججه اوغلى اما النساء فاجبرن على قبول المذهب البلغارى ووزعت النساء والبنات الجميلات على البرابرة الذين دنسو اعراضهن وحبس في سجن قوادار تسعة من اهل الاسلام وهذه اسمائهم :

حسن واخواه على وولى . عابد . احمد . ولى . سامان . قوريتش . محمود . وفكر البلغار المحليون ورجال العصابات في ايجاد وسيلة لتبعيد الضابط الصربى المؤكل بحفظ المحاييس لكي يقتلوهم فارسلوا رجلين بلغاريين من قرية بكنيشه يسترحمون الضابط المذكوران يدهما بمفرزة عسكرية لان الترك هجموا عليهم وقدلى الضابط طلبهم واسرع مع مفرزة الى قرية بكنيشه دون ان يصادف احداً من الاتراك ولما عاد رأى المحاييس لا اثر لهم حيث كان البلغار قتلوهم بغيا به خارج القرية وما لحق هؤلاء الجناة ادنى عقوبة . ومثل ذلك حدثت جنائيات كثيرة في قرى روسمان وقونويش ونيوتين وتسانيك وغيرها وقد بلغ عدد القتلى في هذه القرى من رجال ونساء واولاد اربعمائة نفس

التقرير الحادى عشر في قضا عورت حصار

عورت حصار قضا تابع لسلانيك ومركزه قرية كلكيش تبعد عن سلانيك ساعتين اصاب هذا القضاء بادى مظالم البلقانيين لان قرية كلكيش كانت منذ القديم مركزاً للعصابات البلغارية ولا يوجد بها سوى مائة بيت للمسلمين فكان جل اهل تلك القرية بلغاريين وفي بدأ الحرب التجأ المسلمون الى سلانيك عدا بعض اشخاص منهم بقوا في القرية بناء على تعليمين اصحابهم من

الاهالى البلغارين فقتل منهم اربعة عشر شخصاً من جملة الطيب مجيد وابنه الشاب وكانت علاقات الطيب الموصى اليه صميمية جداً مع الاهالى البلغار فبقى بالقرية مع عائلته استناداً على مواعيدهم ولكن بعد دخول البلقانيين اليها قتل شرفه في بادئ الامر طلبوا منه ان يسلمهم تقوده فاعطاهم ٤٠٠ ليرا عثمانيه ولكن لم يقنعوا بذلك وذبحوه امام ابيه وامه واخوته مع ولده البالغ من العمر اربعة عشر عاماً وذهبت تضرعات والدى المقتول ادراج الرياح لدى هؤلاء البرابرة الذين اجابوها بقتل الاب امام زوجته التي من شدة تأثرها جنت وتاهت في الشوارع ساحبة ولدها بيديها .

في ملحقات عورتهم

كثير من القرى التابعة لهذا القضا نهبت وهدمت بيوتها ولكن ظهرت آثار الوحشية في بعض القرى جداً مثل قرية كركوت ورعيان حيث جمع متوحشو البلقان عامة اهالى قرية كركوت رجال ونساء ماعدا البنات الشابات في جامع وبمد ان نهبوا مامعهم احرقوهم جميعاً وكانوا يشاهدون هذا المنظر الجهنمي ويقتلون بالحراش كل من اراد التخلص من هول النار . وعدد الضحايا في هذا الحريق ٧٦٠ نسمة . اما البنات اللواتي كان ابقى عليهن من الاحراق فيبلغ عدد هن ٦٠ بنتاً نصرت جبراً بعد هتك اعراضهن وزوج بعضهن قسراً مع بلغاريين وما تخلص من اهالى هذه القرية سوى سبعة عشر نفساً كانوا موجودين تصادفاً في سلانيك

وهكذا فعل البرابرة في قرية رعيان وما تخلص من اهلها الذين يبلغ عددهم الثمانماية الا العدد القليل

اما الضحايا في القرى الاخرى فهذا بيانها :

في قرية شيرنال ٨٠ ، في بيكوا ٦٠ ، في بارات ٤٥ ، في مارشالي ٤٥ ، في لالوا ٢٧ ، في ريزا ٢٠ ، في اسماعيلي ٢٠ ، في اريكلي ١٨ ، واكوسوزلو ١٧ في طوغاتزا ١٥ في ويرلات وقطبلا ١٧ في حسن اوبا ، في بوطرش ١٤ في قره طاغ يكي محله ١٠ ، في سرائيلي ٢٤ في وانيز ٩ ، في كوشوا ٧ ، في دور جسنلي ٨ ، في اقشه كليسا ٥ ، في ارنقشه ٥ ، في عاشقلى ٣ ، في حاجي يونس ٣ ، في صارى كوسه ٢ ، بني محله ٢ ، في اولاحلي ٢ ، في قره ينار ١ ، في صارى



امرأة حامل بقروا بطنها فخرج جنينها على الرحم

كول . في صارى طاغلي ١ ، في يمتوبلي ١ ، في اريوردان ١ هذا عدد القتلى الذين ام مكنتنا الاطلاع عليهم لكنهم اكدوا لنا انه يوجد قتلى ايضا من قرى اخرى غير انه لا يمكننا استقصاء ذلك في الوقت الحاضر .

يا عالم الاسلام

نقل هناعن الزهور ابغدادية القصيدة الآتية للشاعر المجيد السيد محمد الهاشمي
يناجي بها العالم الاسلامي قال حفظه الله

تبين لك الايام ام تتجمع (١)
وتستعظم الايام في كل حادث
اطلت التهادى بالضلال وانه
وكنت قد استضعفت للدهر حققة
هو العيش اما ان تعيش فتشقى
وانى ارى في الموت حالا تسرى
اذالم افز في هذه الحال بالنى
وان وطأتى الظالمون بأخص (٤)
دع العيش واستنجد نطى (٥) الموت ان تجدد
فان لم تمت ترجع سعيدا وان تمت
ولا ماتم مثل المذلة انهما
دعبنى امت حتف السيوف فانى
اذا انالم اخفظ عهد حقيقى (٦)
الى العز نفسى تشرب (٨) ومالها
وانى لاوطانى ودينى وسوددى
الا ليت شعرى هل يباح الى الكرى (٩)
بقاى هموم لو تجشمت (١٠) بعضها
اتى جارف الاعداء بغشى بلادنا
تألبت الاعداء طراً اهدموا
فيا غيرة الاسلام هذا احتياجنا
الى عالم الاسلام اهدى تحية
لما ذا اختلفتم والاعداء تظاهرت
دعوا الخلف ان السيل قد بلغ الزبى (١٤)

حديث الامانى لو علمت مرجم (٢)
وجهمك بالايام ادهى واعظم
سبيل الى الحرمان لو كنت تعلم
ولا الحرق مرتوق ولا الجلب مبرم
عزيزا واما ان تذلل فتجرح
اذا لم يكن لى فى الحياة التقدم
فلا الموت يلونى (٣) ولا السقم يؤلم
فوتى شهد و السلامة تلمم
على العيس ذلا اسه فيه محكم
تمت حيث لا تشقى ولا تتقدم
هى المأثم المردى اذا قام مأثم
اخاف اذا ماتت انى شتم
فلا تبسمتى (٧) يوم حادثة فم
اليه سرى الموت المفجع سالم
فداء اذا ما حادث يخدم
وفى وطنى هوج الوقائع تقصم
عييت واعى ساعدك التجشم
لامواجه حول المواطن هيقم (١١)
دعائم للاسلام لا تنشم
اليك وهذا المأزق المتجهم (١٢)
بها الحزن يطوى والمدامع تسجم
عليكم ونتم والعدى تنغمم (١٣)
فما الخلف الا مرتبع متوخم

ارى العرب والترك فى الدين اخوة
ولا الترك مرجوح ولا العرب راجح
وما الفرق بين العرب والترك بالذى
غيا بها العرب الكرام تظاهروا
والا فاقم للخطوب دزيئة (١٥)
فلا الدين دين الله يبقى ولا الهدى
ولا تحسبن الشر فيهم وانكم
لكم مالهم من امرهم وعليكم
فكونوا بناء فى المصائب واحدا
اليس من الحسرة ان بلادنا
ارضون ان نمسى عبيدا جميعنا
فلا تجددوا آنا فكم با كفكم
تعصب بعض القوم فى الدين واقتنى
افى الدين ام فى الحق كان تعصب
لقد هووا فى الدين مالم يكن له
وليس رسول الله فرق بيننا
وما رجح الاسلام ممن تمسكوا
ولكنه ساوى فكان كما ترى
وما زال هذا الدين فى كل موضع
سنؤكل طمرا قصعة بعد قصعة (١٦)
اتغزى بلاد المسلمين وعندنا
لسا كل يوم وقمة بعد وقمة
وتعصب منا بلدة بعد بلدة
وتخضمنا الاعداء فى كل معرك
فان دام هذا الحال فالظلم دائم
سقطت ام البلقان بالملك سطوة
(ادرنة) تبكى والجحافل حولها
(سلانيك) تشكو البأس واليأس واقع
وفى (الروملى) قد انزل الخطب رحله
تضايق رجب (الروملى) وهو واسع

وما الترك الا فى بنى العرب تعصم
ولكنهم للدين كفف ومعصم
تشدد ما ابدى الحوادث تقصم
مع الترك ان الحق بالحق يدعم
تروح امور الذل فيكم وتعم
تؤيد دعواه ولا الملك يسلم
من الشر قوم مالكم فيه مقسم
من الذل مالتى الرحال عليهم
اذ الدهر يبنى او اذا الشر يهجم
تصاب وانا فى التباعد نوم
لمن ليس يهدين ومن ليس يرحم
ولا تصبحوا الدكرى لمن يتوسم
سبيل العمى وهو السبيل المذم
بقومية ام ذا من السوء نخم
من الحق ظل او من الدين معلم
بقومية للمسلمين تقسم
به احدا او قال هذا مقدم
سواء به عرب وترك وديلم
يسب الذى يبنى الخلاف ويشتم
اذا نحن فى هذا التعصب نخزم
قلوب ويجرى فى مفاصلنا دم
تدق بها الآناف منا وترغم
اناس لهم فى جهلهم متعوم
بكل خضوع للجيش ففضم (١٧)
على عالم الاسلام والذل ادوم
تمور سماء من لظهاها وانجم
ترزعزع من بنيانها وتقصم
عليها وتشكو الظلم والظلم يؤلم
واصبح فيها الظلم وهو نخم
باشلاء جيش (الترك) فالرخب مغم

هنالك ذل المسلمون ودمرت
وكم قد غدى منهم خميس عرمم (١٨)
فجاهد حتى شئت الموت شمله
تولت بلاد المسلمين زعائف (٢٠)
لقد ملئت بالغدر منهم صدورهم
اولئك خانوا قومهم وبلادهم
وقد دنسوا اعراضهم ونيابهم
وقد خسروا الدنيا فلا العرض منهم
وقد خسروا الاخرى فليس لهم بها
الا ايها الشرق الذي طال نومه
الا يا رجال الشرق مابل حزمكم
ويا عسكر الاسلام ان خلافكم
سلام على الاسلام يوم تفرقوا
خبت نارهم من بعدما كان نورها
وكانت مساعبهم وكانت سيوفهم
فيا غيرة الاسلام ان بلادنا
ويا غيرة الاسلام ان بلادنا
ويا غيرة الاسلام ان بلادنا
ويا غيرة الاسلام ان بلادنا
وتسبي نساء المسلمين وتسبي
حرائر لم تطرق عليهن ريبة
وتهمك اعراض البنات تهتكها
وقد او قدت بعض البيوت باهلها
فيا وحدة الدين انجديننا فاننا

بلادهم يامن من الذل يعصم
الى الحرب يتلوه خميس عرمم
وزاجم بحر الموت وهو غط مطم (١٩)
تهدم من اركانها ماتهدم
وارثهم يوم المشاكل تسقم
فذكرهم بالسب واللعن يختم
بعار لهم في صفحة الدهر يرقم
مصون ولا ما يكسبون مكرم
رجاء اذا يرجو من العفو مجرم
أنت ضعيف الكف أم انت اعسم (٢١)
يغب (٢٢) وما بال العزائم تحجم
مشوم ولكن التباغض اشأم
ففتارت قواهم في الوري وتهضموا
به يستتير الكون والكون مظلم
بها الجرح يؤسى او بها الداء يحسم
بها الناس تصلى و المنازل تضرم
بها الدم يجري اذا يسج بها الدم
تصاب ووجه العدل اربد اقم (٢٣)
تجور بها الاعداء جوراً وتظلم
بها الحق يخجو والمساجد تهدم
اياى و اطفال هناك تقيم
ولم تحترق في سبلهم محرم
وهتك ستور القوم للقوم مغرم
كما او قدت بالمجرمين جهنم
بناحل ليل الظلم والليل مظلم
بغداد : محمد الهاشمي

(١) الجمجمة صوت بلا معنى (٢) باطل (٣) يرجو ويصعد (٤) باطن القدم (٥) سيوف (٦) ما يجب
على ان احية (٧) لفظت (٨) تدلو وترتفع (٩) النوم (١٠) تحممت (١١) اضطراب اصوات لامواج (١٢)
المضيق المطلم (١٣) لها غوغاء (١٤) رؤس الذليع (١٥) عرضة (١٦) شيطان شيطان (١٧) الحقم الاكل بكل
الارض والضم الاكل باطرافها (١٨) جيش كبير (١٩) واسع (٢٠) ارازل (٢١) يابس لكف (٢٢) بفسر
(٢٣) مقام اغير .

تيار الاستعمار

في بلاد الاسلام

(٣)

فرنسا في الجزائر ؟

لما فتح الفرنسيون مدينة الجزائر كما بيناه تفصيلا في العدد الثالث وجدوا
انفسهم في بلاد واسعة ارجاؤها متناية اطرافها اكتنفها الجبال والهضاب من كل
جانب واشتهر اهلها بالقوة وشدة البأس . لا يقيمون على الذل ولا يرضون بالضيم
ولم يدعنوا من قبل لحكومة ما اذعانا تاما . ولذلك ظل الفرنسيون متحصنين
في مدينة الجزائر عدة سنين يتربون الفرص ويرسمون الخطط ليمدوا سلطانهم
في تلك البلاد الواسعة .

وقد مر بالقارئ القول في العدد الثالث بان الانقسام الذى كان مستحكما بين
الداى وبطانته والاهالى كان من الاسباب التى عجلت بسقوط مدينة الجزائر وانقرض
امارتها . وقد كان الانقسام بين القبائل الداخلية ايضا من الاسباب التى ساعدت
فرنسا على الايفال في داخل البلاد . سنة الله في كل امة تمزقها الانقسامات
والاختلافات . ومن الغريب ان التاريخ مفعم بتلك العظاات البالغة وخصوصا تاريخ
المسلمين الذين ضاعت بسبب انقسامهم وتقاطعهم جل بلادهم وصارت في يد
اعدائهم سلما تباع وتشترى ومع ذلك لاتزال البقية الباقية المستقلة من بلادهم
مهدة بذلك الخطر الداخلى ولا يعلم الا الله متى يتقى المسلمون هذا الخطر

قلنا ان الانقسام بين القبائل في بلاد الجزائر كان من اسباب رسوخ قدم
الفرنسيين في الجهات الداخلية وذلك ان تلك القبائل لم يكن بينها اقل ارتباط
او تضامن بل كانت في الغالب متخاصمة متحاربة . وبعيد على الامة التى يتقاطع
ابنائها ان تقوى على صد هجمات الاعداء عليها مهما بلغت شجاعتها وانفتها

فيما كانت الجنود الفرنسية تحتل مدينة الجزائر كانت القبائل البدوية الداخلية
من انقسامها وتقاطعها في شغل شاغل الى ان بدأ الفرنسيون يرسلون طلائعهم
الى داخل البلاد وعلمت القبائل بعزم فرنسا على فتح بلادهم فهزتهم النمرة

(١) تابع لما نشر بالعدد الثالث صفحة ٢٣٩

الاسلامية ودعاهم وازع الدين الى الجهاد في سبيل حايته فقاموا يحاربون هذا العدو الاجنبى ولكن لم تكن مقاومتهم لفرنسا مقاومة عامة ذات خطة مرسومة ونظام موضوع بل كانت اشبه بمقاومة محلية فكانت كل قبيلة تقترب منها طلائع الفرنسيين تجتمع تحت لواء قائدها وتستبسل في محاربة العدو وتشبكي معه في معارك صغيرة او كبيرة وكانت الحروب على ذلك سجلا

وقد تمكن الفرنسيون بعد سقوط الجزائر من احتلال الثغور المهمة على البحر دون ان يجدوا منها مقاومة كبيرة ثم وجهوا قوتهم شرقا الى قسطنطينية حيث تحصن فيها الامير احمد بك واعان فيها استقلاله بالامارة بعد سقوط اماراة الجزائر وعزم على ان يقاوم الفرنسيين فيها مقاومة شديدة وكان على جانب كبير من الشجاعة فجمع قوة كبيرة وحث قومه على الجهاد وساعده على المقاومة موقع المدينة الطبيعى لانها قائمة على جبل عال يصعب الوصول اليه

فشل الفرنسيون في حصارهم لها في المرة الاولى وارتدوا عنها بعد ان حملتهم خسائر كبيرة ولكنهم عادوا اليها سنة ١٨٣٧ بعد ان زادوا من قوتهم واستعانوا بالمدافع الكبيرة في حصارها فقاومت حاميتها مقاومة استبسال ولكنها لم تقو على الحصار طويلا وفتحها الفرنسيون عنوة في تلك السنة وبذلك سقطت المدن الكبيرة في يد الفرنسيين ولم يبق امامها الا محاربة القبائل

بعد ان سقطت مدينة الجزائر ظهر بين القبائل ذلك الرجل الكبير الذى امكنه بفضل شجاعته وعلو نفسه ان يجمع حوله الناس ويدعوهم الى الجهاد في سبيل الله تحت زعامته وهو الامير عبد القادر فلبى الكثيرون دعوته والتفوا حوله وكان غيورا شهما كريم النفس شديد الايمان كبير الثقة من نفسه شديد التأثير فوجدت منه القبائل الضاربة في جهات وهران زعيما قادرا وصارت بفضل قوة كبيرة فلما افلح الامير في دعوته اخذ يحمل على الفرنسيين حملات صادقة يرجع في كثير منها غائما سالما ويردهم على اعقابهم بعد ان حملهم خسائر جسيمة وقد وجدت منه فرنسا خصما قويا لا تستطيع في اول عهدهما باحتلال البلاد ان تغلبه على أمره فاضطرت الى مسالمة سنة ١٨٣٧ وعقدت معه معاهدة اعترفت فيها به اميرا على وهران وجزء من مقاطعة الجزائر. ازدادت قوة الامير عبد القادر بعد تلك المعاهدة وامتد نفوذه والتفت حوله قبائل كثيرة ولكن فرنسا امكنها ان تضم الى جانبها بعض الحونة من رؤساء القبائل المجاورة للجزائر واجتذبتهم مرة بالسياسة وأخرى

بالرشوة فانخذتهم عيونا لها واستخدمتهم في مناجزتها للامير واخذت تحين الفرص لتستأنف محاربته لانها لم تعترف به اميرا على وهران الا ريثما تستعد لقتاله . والاغرب من ذلك ان بعض المؤرخين الفرنسيين الثقات يرجعون الفضل في التغلب على الامير عبد القادر الى ارشادات احد ممالك باى تونس . هرب هذا المملوك من قصر سيده وعرض على فرنسا مساعدته لها في حربها بالجزائر وقدم لها فعلا مساعدات كثيرة فانظر كيف يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين . لما اعيت فرنسا محاربة الامير عبد القادر في السنوات الاولى اتبعت معه طريقة جهنمية نقل بها من حده وذلك انها كانت تحرق جميع المزارع والمراعى القريبة من الجهات التى كان يربط فيها الامير ورجاله لعلهم ان العرب لا يستطيعون البقاء والمقاومة اذا حيل بينهم وبين مزارعهم ومراعيتهم وقد صبر عبد القادر على تلك الشدة وظل يحث قومه على الاستمرار في القتال واحتمل المكاره جهادا في سبيل الله وبرغم تلك الطريقة التى اتبناها الفرنسيون في محاربته كان لا يتركهم في راحة بل ولا يألو جهدا عن مهاجمتهم في مراكزهم وكثيرا ما اقترب في هجماته من مدينة الجزائر .

ولكن الفرنسيين بمساعدة ذلك المملوك الحثيث هاجموا على غرة في المكان الذى كان مرابطا به وهزموه فيه سنة ١٨٤٣ فسلم في هذه الموقعة بعض القبائل التى كانت تحارب معه اما هو فقد ابي التسليم وانجى صوب مراكش واخذ يدعو القبائل هناك الى معاضدته في محاربة الفرنسيين اعداء الدين وارسل الى سلطان مراكش يستنجده فانجده بجمع من المقاتلة . وهناك ارسلت فرنسا قواتها الى مراكش لتحارب جنود السلطان اويسلم الامير عبد القادر فاشتبك الفرنسيون مع المراكشيين في معركة اسلى سنة ١٨٤٤ وكان الفوز فيها في جانب فرنسا وارسلت الحكومة الفرنسية اسطولا الى مياه مراكش فحرب ثغرطنجة اربابا وتهديدا فلما رأى ذلك سلطان مراكش اتفق معها على ان لا يسمح للامير عبد القادر بالبقاء في الاراضى المراكشية

لم يفل ذلك من عزم الامير بل اخذ يدعو القبائل سرا الى محاربة فرنسا واختفى لهذا الغرض مدة حتى جمع قوة كبيرة من العرب واستأنف الحرب دفاعا عن استقلال بلاده . وظل ثلاث سنوات بعد اتفاق فرنسا ومراكش يحارب الفرنسيين حتى انهكت قوته واضطرت كثرة اعدائه وعددهم الى التسليم . وكان ذلك

سنة ١٨٤٧ أي بعد جهاد سبعة عشر عاما اذاق فيها الفرنسيين الصاب واتى فيها من ضروب الثبات والشجاعة ماخلد له ذكرا لا يمحوه الزمان لانه اظهر للامم مثال الاستبسال في الدفاع عن الاستقلال ولا ريب انه وان غلب على امره جديربان يفاخر به اهل الجزائر بل المسلمون جميعا

سياسة فرنسا في الجزائر

من اراد ان يعرف نتائج الحكم الاوروبي في البلاد الاسلامية فحسبه ان يقيين حالة الجزائر واهلها بعد ان مضى عليهم وهم في حكم فرنسا ثمانون عاما لان هذا الزمن الطويل جدير بأن يظهر للملاء النتائج البعيدة للاستعمار الاوروبي فان من الاغرار من لا يزالون يوهمون الناس بأن الحكم الاوروبي هو حكم اصلاح وتعمير وان الخيرات الدفينة في الشرق لا تظهر ولا يستثمرها الناس الا في البلاد التي ترسخ فيها قدم الحكومات الاوروبية . ومنهم من يحسد بعض البلاد الاسلامية على ابتلائها بالحكم الاجنبي انه ليحسن باؤلئك الواهمين ان ينظروا الى العواقب بدلا من ان يفتروا بالظواهر وان لا يتسرعوا في الحكم على حقيقة الاستعمار الاوروبي الا بعد ان يتبينوا نتائجه . وانا لذاكرون شيئا من نتائج هذا الاستعمار في بلاد الجزائر لانه نموذج ماحل او سيحل بالبلاد الاخرى .

لما خلاص الامر لفرنسا في تلك البلاد وتغلبت على ذلك الحزم العنيد الامير عبد القادر وجدت نفسها امام امة وان كانت قد غلبت على امرها الا انها تحمل ضغنا شديدا على العدو المتسلط عليها . وأى امة شريفة لا تحقد على من يسلبها حمة الاستقلال ! وجدت فرنسا ان قوة هذه الامة في عصبية قبائلها البدوية التي كانت بفضل تلك العصبية شجا في حلق من يحاول اذلالها لاسيما ان تلك القبائل كانت بطبيعتها تألف الحرب وتميل اليها ولذلك اخذت فرنسا تسمى في افساد تلك العصبية ومحوها .

كان من مبادئ تلك العصبية ان لكل قبيلة رئيسا تحترمه وتطيعه واملاكا ومزارع ومراعى لا يمتلكهما شخص بالذات بل كانت ملكا عاما للقبيلة . فكانت الرأسة من جهة ووحدة الملك من جهة اخرى اساس العصبية في القبائل البدوية ولذلك كان الرؤساء بمالهم من الاحترام والمنزلة اذا دعوا قومهم الى عمل تألبوا على الاجابة واذا استنفروهم الى القتال نفروا رأى فرنسا ان هذا النظام قد يحول دون تملك تلك البلاد والتحكم في شؤون اهلها

واموالهم وارواحهم فغيرت نظام القبيلة وابدلته بتقسيم ادارى يجعل القبيلة مقسمة الى فصائل صغيرة على كل فصيلة شيخ تعينه الحكومة وتجعله تحت رقابتها فأحلت هؤلاء المشايخ محل القواد الذين كانوا على رأس القبائل والذين كانوا عادة من نسل البيوت الكبيرة ذات المنزلة الرفيعة في قلوب اخوانهم . فاضمحلت بذلك الرابطة التي كانت تجمع بين رجال القبائل ورؤسائهم لان الحكومة الفرنسية تعمدت الا تختار أولئك المشايخ من ذوى الحسب والنسب والجاه بل اختارتهم من الذين يظهرون لها الاخلاص والولاء . ثم تظاهرت بالحفاظة على حقوق الافراد فملكتهم بمض الاراضى التي كانت ملكا شائعا للقبيلة وصادرت الجزء الاكبر منها وبذلك حرمت القبائل من رؤسائها وصار رجالها اشتاتا لا تجمعهم كلمة رئيس ولا تؤثر فيهم منزلته بينهم ولا يضمهم ملك مشترك كما كانوا من قبل وامنت فرنسا بذلك ان لا تنشور القبائل في وجهها مهما افترطت في سياستها الاستعمارية لان القبائل قد فقدت بهذا النظام الجديد معقد عصبيتها . ومع ذلك كانت بعض القبائل تنشور من آن لا آخر بسبب سوء المعاملة ولكن الحكومة الفرنسية كانت تقمع تلك الثورات بالقوة دون ان تحجب مطالب المشتكين

وتعاقبت الثورات في تلك البلاد حتى افقرت اهلها واصيبوا في سنة ١٨٦٧ بمجاعة شديدة هلك فيها خلق كثير

لما فسدت عصبية القبائل وضعفت شوكتها سهل على فرنسا ان تحقق اغراضها الاستعمارية فاخذت تحت المهاجرين الفرنسيين على استيطان تلك البلاد الغنية وانشأت للقادمين منهم مراكز للاستعمار في الجهات الخصبة وكانت تلجأ الى كل الطرق الممكنة لتصادر الاهالى في املاكهم وتعطيها المهاجرين من الفرنسيين فابتدأت باوقاف المسلمين . وذلك ان الحكومة الفرنسية اعتبرت الاوقاف من الاملاك العامة اى التي للحكومة ملكيتها دون الافراد فالحقت الاراضى الموقوفة بتلك الاملاك واتخذت لنفسها حق ادارتها وكانت الادارة لاتقف عند حد استثمار تلك الاراضى بالايجار او المزارعة بل كانت تتناول التصرف في العين فتنازلت الحكومة عن كثير منها للمستعمرين الفرنسيين فصاروا يقدون الى البلاد بكثرة خصوصا بعد حرب السبعين ومهاجرة كثير من الفرنسيين من مقاطعتي الانزاس والورين اللتين اخذتهما المانيا في هذه الحرب . واخذ المستعمرون الفرنسيون يزاحمون الاهالى في املاكهم ومزارعهم

وهناك طريقة أخرى اتبعتها الحكومة لاعطاء المستعمرين املاك الاهالى وهى انه عقب كل ثورة تنشأ من الضغط وسوء المعاملة كانت الحكومة تصدر املاك كل من تشبه في انهم كانوا من المشتركين في العصيان وتعطيها للمستعمرين الفرنسيين وبذلك اخذ العنصر الاجنبى يطغى على البلاد ويخرج كثيرا من اهلها من ديارهم ومزارعهم

ولم يكن هذا كل غاية الاستعمار الفرنسى في تلك البلاد بل ارادت فرنسا فوق ذلك ان تخلق اهل الجزائر خلقا جديدا وان تنشئهم نشأة فرنسية حتى يفقدوا شخصيتهم بعد فقدانهم عصبيتهم حتى لا يعود لهم أمل في ان يكونوا يوما امة حرة ولتجد منهم عونا لها في حروبها الاستعمارية وغير الاستعمارية

فكر البعض بادى الرأى في تنصير المسلمين لانهم وجدوا ان الاسلام هو الذى يقف حدا دون افناء شخصية الاهالى ولكن التجارب علمتهم ان هذا الامل لا يتحقق . اقول (التجارب) وربما يدهش بعض القراء ان فرنسا التى تحارب الدين في بلادها تجرب في الجزائر تنصير المسلمين . ولكن لم آت بهذه الحقيقة من عندى وانما رأيتها عرضا في كتاب وضعه ضابط فرنسى (١) عن سياسة فرنسا في الجزائر . قال هذا الضابط

« لقد وقف الكردينال (لا فيجرى) حياته على تنصير المسلمين ولكنه فشل في هذا المسمى الجليل فمن ذا الذى يجزأ من بعده على تحقيق هذا الامل ؟ لم نر كيف ان الاطفال اللقطاء الذين كان يؤيهم الكردينال في مجاعة سنة ١٨٦٧ ويريهم على مبادئ النصرانية كانوا يهودون الى الاسلام بمجرد ان يبلغوا سن الرشد كائن في اعماق قلوبهم سرا دفينا يميل بهم دائما الى دين آبائهم واجدادهم »

وجدت فرنسا ان المدرسة هى خير وسيلة لتنشئ بها اهل الجزائر نشأة جديدة ففتحت المدارس في كل جهة واخذت تنفق عليها بسخاء وجعلت التعليم فيها باللغة الفرنسية حتى يشب الاولاد وقلوبهم متشبعة باداب الفرنسيين . وكانت تحمل الاهالى على ادخال اولادهم في تلك المدارس لان كثيرا من الآباء كانوا في اول عهدهم بتلك المدارس يحجمون عن ادخال اولادهم فيها ويفضلون ارسالهم الى مدارس الزوايا حيث يتلقون فيها مبادئ الدين الحنيف فكانت الحكومة منعا لمزاولة مدارس الزوايا للمدارس التى تنشئها تأمر باقتال المدارس الاسلامية

(١) الجزائر والاهالى المسلمون لمؤلفه الكبتين بسول

واجبار مشايخها على ارسال تلاميذهم الى مدارس الحكومة ومن برجرام مدارسها ان لا يعلم فيها الدين فكان الاولاد ولا يزالون يخرجون منها وقد تأثروا بالتربية الفرنسية خصوصا اذا دخلوا بعدها في المدارس الثانوية وامتوا التعليم الفرنسى فيخرجون وقد ضعفت فيهم عاطفة الدين وانقطعت الرابطة المعنوية التى كانت تربطهم بأهلهم وقومهم فيصبحون غرباء بين ذويهم وما كانوا يأخذون من المدنية الفرنسية الامفاسدها وملاهيها الكثيرة وبذلك امكن لفرنسا ان تنشئ في الجزائر جيلا جديدا من فسدة الاخلاق وضعاف الايمان ثم استخدمتهم في حكم البلاد .

واجهازا على المدارس الاسلامية حيث كانت تعلم علوم الدين انشأت الحكومة مدارس لتخريج ائمة المساجد والقضاة الشرعيين والمفتين لتكون رقبة على ما يدرس لهم بها وجعلت تعليم الدين فيها بمقدار وبمجانبة التعليم الفرنسى الاجبارى اثرت هذه السياسة في الحالة الاجتماعية في تلك البلاد تأثير سينا فصار كل شئ هناك عليه مسحة الفرنسيه وصارت اللغة الفرنسية لغة ثانية للقوم ففى لغة التقاضى وهى لغة الحكومة وهى لغة التعامل وصار يحق لفرنسا ان تعتبر الجزائر جزءا متممها فقد صبغت تلك البلاد واهلها بالصبغة الفرنسية ولكنها لم تعطهم من مدنيها الا المساوى ففى تحرهم من التربية الدينية والوطنية لانها تعلمهم منذ حداثة عهدهم بالوجود ان وطنهم فرنسا فينسى انه مسلم من بلاد واوطان مهضومة الحقوق ويظن انه صار مساويا للفرنسى ناسيا ان الفرنسيين لا ينظرون الى الجزائريين مهما بلغوا من الرقى في العلم كما ينظرون الى اخوانهم في الوطن بل يعتبرونهم عبيدا اذلاء محرومين من الحقوق الوطنية التى يتمتعون هم بها

يعتبر الفرنسيون اهل الجزائر (رعايا) لا مواطنين لهم فالجزائر تمثل في مجلس النواب الفرنسى ولكن محرم على اهلها ان يكون لهم حقوق الانتخاب او حقوق النيابة وقد رأى بعض رجال الحكومة في فرنسا قديما ان هذا لا يتفق هو ومبادئ المساواة والحرية والاخاء . . . لان فرنسا عمدة الأمم لا يليق بها ان تحرم شعبا تحكمه من حقوق الانتخاب والنيابة فوضعت الحكومة نظاما تخول فيه اهل الجزائر تلك الحقوق ولكن قيده بشروط يجعل هذه الحقوق محرومة عليهم الى الابد ماداموا مسلمين وهو التجنس بالجنسية الفرنسية واستلزام قبول احكام قانون الاحوال الشخصية الفرنسية اى ان على من يريد التمتع بتلك الحقوق ان يطرح احكام الشريعة الاسلامية في مسائل الزواج والطلاق والموارث وغير

ذلك . فكانهم يريدون أن يخرج المسلمون من دينهم ليعتبروهم مواطنين لهم ! وقليل من المسلمين من يقبل احكام هذا النظام ولذلك كتب على اهل الجزائر ان يظلوا رعايا أذلاء في ظل الحكومة الفرنسية

فالجزائر صارت حقيقة كما يقول الفرنسيون جزءا من فرنسا ولكن اهلها محرومون من الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون انفسهم . عليهم كل الغرم وليس لهم شيء من الغنم . عليهم دفع الضرائب . عليهم القيام بالخدمة العسكرية . عليهم اطاعة كل ما تقررته الحكومة وليس لهم شيء من حقوق الحاكمية ! وبهذا يقضى قانون الاستعمار الاوروبي في تلك البلاد الشقية الحظ

ان فرنسا قد عمرت حقيقة تلك البلاد ومدت فيها السكك الحديدية وسهلت المواصلات واقامت الدور والعمارات ومهدت الطرقات واستثمرت ما فيها من الخيرات . كل هذا لا ينكره احد ولكن الاهالي اصحاب البلاد اليوم لا يمتلكون الا اللتافه من ذلك الذي هو ملك للمستعمرين ووقف عليهم . فهلا كان الافضل لتلك البلاد ان تبقى لاهلها خرابا خالية من كل نظام وعمران ؟

لقد افسدت المدنية الفرنسية الاخلاق في تلك البلاد فلا هي جعلتهم في صف الغربيين قوة وعلما ورقيا ولا هي تركتهم على اخلاقهم الاولى الفطرية على انها فوق كل ذلك تحشد منهم جنودا تفتح بها بلاد اخرى أغلبها اسلامية

كانت فرنسا لا تألو جهدا في تجنيد المسلمين من اهل الجزائر ومن المؤلم انه بفضل اولئك الجنود المسلمين اخضعت فرنسا الجزء الجنوبي من الجزائر وقضت على كثير من ثوراتها وحاربت بهم في كل الجهات التي كانت ميدانا لحروبها كإيطاليا والسنگال والهند الصينية وتونس والمكسيك ومد غشقر ومراكش وكأنها ارادت اخيرا الاجهاز على شخصية المسلمين في تلك البلاد فجعلت التجنيد فيها في السنة الماضية اجباريا كما هو في فرنسا فضج الاهالي من ذلك النظام الجديد وطلبوا من الحكومة الفرنسية ان تعطيهم في نظير التجنيد الاجباري مالم الفرنسيين من الحقوق ولكنهم عثا يطالبون وينظلمون لان فرنسا لا تعتبرهم مساوين في الحرية الانسانية والحقوق البشرية لابنائها

فالمسلم الجزائري قد كتب عليه الآن ان يحارب في صفوف الجيش الفرنسي في اى جهة تريدها فرنسا ولذلك لم تتأخر فرنسا عند سوق الجزائريين لتحارب بهم اخوانهم المراكشيين وهم الآن يحاربون تحت الراية الفرنسية في الديار المراكشية

فانظر الى اى حد من التدهور الاجتماعى وصل الجزائريون بعد ثمانين سنة من الحكم الاوروى . عمرت فرنسا بلادهم ولكنها افسدت عصبيتهم ودينهم واخلاقهم حاربت بهم اخوانهم وحرمتهم قوة العلم والمال فصاروا عبدة ومثلا للعالمين فعلى الذين يتطلعون الى الاجانب ويظنون ان في حكمهم صلاحا وعمرانا ان يتدبروا ذلك وان يعلموا انه اذا كان الاجانب يعمرون البلاد التي يهبطونها فهم انما يعمرونها لانفسهم ولا يصيب اهل البلاد بجانبهم الا الفقر والشقاء ولئن خفيت هذه الحقيقة في بدء الاستعمار فالزمان كفيل باظهارها بعد حين لمن كان غافلا عنها والسعيد من اتعظ بغيره

عبدالرحمن الرافعى
المحامى

الى العالم اسلامى

و

الامة العثمانية

للكتاب الاوروبيين العظام منزلة رفيعة في اعينهم فهم في اقوامهم في مرتبة الاستاذ من تلاميذه . فاذا ابرزوا شيئا من ثمرات افكارهم تهاقت الناس على اقتطاف دانياتها الناضجة . واذا اقترحوا امرا سياسيا اكب ولاة الامور على دراسته واتباع مراسمه وبهذا سعدت الامم التي تقدر رجالها الكاتبين قدرهم وتتبع نصائحهم وتعاليمهم .

ولو ان اهل الشرق يتولون كتابهم ومفكرهم وعلماءهم منزل اشباههم في الغرب لاستفادوا كثيرا وحسروا قليلا . بل لو انهم عنوا بعض الشيء بالفحص والتمقيب مما يدبر لهم في الممالك الاخرى مما تتم عنه اقلام فطاحل كتابهم لعرفوا كيف يقون انفسهم وبلادهم نيرانا اكتوت بها جباههم وجنوبهم وانمتحت بها معالم عظمتهم وسلطانهم ولكنهم يرون بابصارهم مايكتبه السياسيون وتنشره المجلات الكبرى فلما ان يعرضوا عنها او يتخذوها هزوا ولعبا . ثم لا يستيقظون

الاوهم مكبكون في الهاويات التي حفرت لهم . مكبلون بالاغلال والسلاسل المحيطة برقابهم واطرافهم .

ولقد حاولنا غير مرة ان نعود العالم الاسلامي ترويض نفسه وتعويدته ان يتدبر مايكتب في امره مما تنشره المجلات الكبرى الاربوية حتى يتبينوا حقيقة ما يدبر لهم فيتخذوا من دونه مايلزم من الوقايات وهانحن اليوم ننشر للامم الاسلامية عامة والعثمانيين خاصة ترجمة مانشرته مجلة القرن التاسع عشر الانجليزية الصادرة في شهر مارس الغابر لرجل من كبار كتاب انجلترا السياسيين ليتدبروا معانيه ويدرسوا مقاصده ويمتروا بما تضمنه حتى لا تأخذهم القاضية بقتة وهم لا يشعرون .

الحل النهائي للمسألة الشرقية

من اكبر المصالح الانجليزية دوام المحافظة على السلام الذي نحن معاشر الانجليز على العموم من اعز طلابه واكبر الداعين اليه لاننا بدونه نكون مهددين في كل مصالحنا وموافقنا . ولكن اذا جاء دور خطباء السياسة وكتابها يبين الطريق الذي تسلكه الامم للمحافظة على هذا السلام نجدهم جميعا قد اختلفوا فيما بينهم ولم يستطيعوا الاتفاق على شيء يقرونه فيما بينهم في هذا السبيل . فبعضهم يرى ان الطريق لدوام السلم هو الاستعداد للحرب استعدادا يذهب امامه كل ما يقصد به عرقلة مساعيها او تعطيل مصالحنا ضاربين الصفح عما سنفقده فيها من الرجال والمال . وآخرون (الانجليز والفرنسيون والالمان والامريكان) يرون ان انجح علاج لدوام السلم هو تخفيض حدة الحكومات بنشر كتب ونشرات كثيرة يبينون فيها ما ينجم عن الحروب من الخسائر الفادحة لكل الطرفين الغالب والمغلوب وانهما في الحقيقة يتساويان في المصائب والقضاء النازل عليهما . هذا هو مبدأ نظرية السلام الذي تقره حالة الامبراطورية الالمانية وايطاليا والولايات المتحدة واليابان لان الحياة الوطنية الرعدة لا تكون فقط تحمل اعباء الديون واثقال الكواهل بنفقات الحروب .

ان الجيل لتترجح عن اماكنها والطبيعة البشرية تتغير عن حالتها قبل ان يستطيع احد كبح جماح نفس امة فتيمة مشرئبة للمعالي او الوقوف في طريق امة مستعبدة تريد رفع النير الاجنبي عنها لتأخذ المكان اللائق بها بين الامم الحية اذا هو افنى كل حياته في سرد فظائع الحروب واضرارها بالجنس البشري ومخلفتها

للانسانية . ومن دون هذين الضربين من الناس يوجد ضرب ثالث يرى في السلام انه يوجب على الدول العظمى تحديد نفوذها الاستعماري وتعديل طريقة استملاكها للبلاد وبذلك يتسنى للدول ان تحفظ العالم من شر الحروب امدا طويلا . فلو ان انجلترا والمانيا التحمتا في حرب طاحنة فان هذه الحرب لانتج ادنى فائدة لاحد الطرفين المتحاربين . اذ لو فرض ان خرجت المانيا من الحرب ظافرة فان الولايات المتحدة وكندا وحكومات جنوب افريقيا المتحدة والروسيا تحررها ثمار هذا الظفر والانتصار كما ان انجلترا لو خرجت ظافرة وتمكنت من تخريب الامبراطورية الالمانية فانها لاتستطيع ان تستعيز حتى ولا بعد عشرات السنين ما فقدته من الجنود البيض مما ستستولى عليه من الاملاك . فالامتان في الحالين لا تربحان من الحرب شيئا . وغاية ما يمكن ان يتصور عقب هذه الحرب ان روسيا او هي والولايات المتحدة ايضاها الحكومتان الوحيدتان اللتان ستستفيدان من مجهوداتنا وانتصاراتنا . كان كثير من الكتاب يشكون كثيرا في مبدأ الامر في ان المانيا يمكن ان تعتمد في سياستها للمحافظة على السلام وليكنهم اليوم قد تحولوا عن عقيدتهم هذه واخذوا يقولون بعدم طمع المانيا في توسيع نطاق مستعمراتها اكثر مما وصلت اليه الآن . وان اطماعها في افريقيا الآن قد وقفت عند حدها بعد ما ضمته لمستعمراتها من الاملاك الفرنسية وبعدمها ضمنت حرية التجارة في مراکش واذ أصبحت املاكها مشرفة على نفس مجرى نهر الكونجو رضيت ان تدع الاشراف على البحر الابيض لغيرها ممن يطمع في تكوين الامبراطوريات الضخمة . ولكن نفس هؤلاء الكتاب ينكرون على روسيا ما يمكن ان تعتذره فيما ترمى اليه من الوصول حتى الخليج الفارسي لسبب مركزها الممتاز في ولاياتها القفقاسية ولعلمهم يعتقدون انه من السهل الميسور ان تخرج روسيا من بلاد فارس بمجرد قولهم لها ذلك كما يعتقدون بجواز امتداد نفوذ روسيا على شبه جزيرة البلقان حتى بحر الادرياتيك بما فيها السيطرة على البوسفور والدردنيل .

فهؤلاء الكتاب بحسب ما ينشرونه من الآراء والافكار يريدون تقوية النفوذ اليوناني طرفة واحدة بتسليم جزيرة قبرص الى اليونان قبل ان تظهر كفاءتها في ادارة حكم جزيرة كريد . وكذلك يريدون ضم بقية الجزر العثمانية ومعهما جزيرة اميروس الى هذه المملكة الصغيرة .

ويقول هؤلاء الكتاب تلاميذ السياسة انه عند تقسيم تركيا - وهو

ما يأسفون عليه — يمكن لبريطانيا العظمى التي ضمت قبرص ان تستعيز ما فتدته باستيلائها على جميع بلاد العرب وما بين النهرين .

اما الروسيا فيكفيها من الغنيمة ارمينيا وفرنسا بلاد سوريا وبعد ذلك يعاد تأسيس سلطنة عثمانية جديدة في اسيا الصغرى تكون في الظاهر كولاية مستقلة . اما المانيا والتمسا فلا تهما تقتنعان بمحدودها الحاضرة وبما سيكون لمتاجرهما من حرية التصريف فانهما يرضيان بانهاء المسئلة الشرقية على يد دول الاتفاق الثلاثي تعاونها حكومات البلقان واليونان . واذا فرض انه بدا من المانيا شيء من التذمر يمكن تلافي الامر باعطاء المانيا جزءا من المستعمرات البورتغالية .

ولعل اصحاب هذه النظريات ينقضون الذي ارمى اليه هنا ارتكانا على ما يمكن ان يبدو من جانب الاشتراكيين في المانيا او السلافيين في بوهيميا . ولكنهم لو تبصروا في الامر لوجدوه ضئيلا جدا بالنظر للعزم الثابت الذي عليه رعايا الامبراطوريتين من وجوب الاشتراك في كل ما يبدو للناظر مما له شأن عظيم . وما على اولئك الذين يقولون باستكانة الشعب الالمانى ورضائه بحالته الحاضرة الا ان يزوروا ادارة تعليم المستعمرات في هامبرج ومتاحف البحث عن طباع البشر واخلاقهم والجمميات الجغرافية في برلين وكولون وبريمن واستتجارت وليزنج وميوغ ليتعرفوا الطرق التي يسلكها الالمانى لبسط حكمه على جميع قبائل افريقيا المتأخرة في المدنية واضرابهم في غرب اسيا وخلافهما مما يرى النسر الالمانى فيها غنيمة كبرى او اذا لم يكن ذلك فعلى الاقل للاقامة او الاستعمار او الاكتشاف .

وترجع رغبة الالمانين الشديدة في توسيع نطاق نفوذهم خارج المانيا الى خوفهم الشديد من انهم لو استقروا في اماكنهم ولم يسموا في توسيع نطاق مستعمراتهم فانهم سيحجبون في يوم من الايام عن الوصول الى اعظم واهم اسواق الدنيا التجارية ومصدر الغلات والحبوب . وتبتدى هذه الرغبة منذ ١٩٠٣ — ١٩٠٤ يوم قامت الحملة في المجلس بهذا الصدد .

ان سياسة الافضلية التي اتبعها انجلترا سواء في مرافئ انجلترا نفسها او في مستعمراتها الواسعة قد دفعت المانيا بشدة لتبحث لها عن مكان يليق بها بين الامم صاحبة الاملاك الشاسعة . وان التماسا لتقرب حركات المانيا في هذا السبيل وتبع خطواتها بكل دقة . والمانيا في هذا الصدد لا تمثل نفسها فقط بل انها تمثل

الامبراطوريتين (المانيا والتمسا) معا . لانه لو قدر لانجلترا ان تسقط من شاحق عظمها الحاضرة (ولا بد لها ان ترى ذلك اليوم ولعله قريب ان شاء الله) فان المانيا هي الامة الوحيدة التي ستأخذ تلك المكانة السامية فعند ذلك ترى البضائع النمسية تعامل في جميع البقاع كالبضائع الالمانية بخلاف البضائع الانكليزية (والفرنسية بالطبع) فانها تكون وقتذاك في المترلة التي فيها البضائع الالمانية اليوم .

ولكن التماسا ايضا حريصة جدا وملائي بالامل القوي في بسط سيادتها فوق ربوع شبه جزيرة البلقان والبحر الاسود وسواحل بحر ايحيي كيما تصرف مصنوعاتا الكثيرة ولكي تشرف ايضا على اسواق بحر الروم التي تخرج المواد الاصلية . والحقيقة ان المسئلة مسألة حياة او موت لتلك الامم المتحدة تحت حكم الامبراطور فرانسوا جوزيف سواء كانت المانيا او بولونية او رومانية او كروا شية او مجرية او دناسية فهم اليوم يوطدون العزم على الموت في سبيل البقاء خوف ان تغتالهم يدالروسيا وتقضى عليهم بالفناء . وهل كانت المانيا تبني سكة حديد بغداد وهي تعتقد ان تركيا ستبقى الى الابد حاجزا بينها وبين اطماع الروسيا في الاستيلاء على الاستانة او الاناضول او الاطماع الانجليزية فيما بين النهرين ؟ كلا فالحقيقة ان ممالك اواسط اوربا قد بدأت تشعر بشديد حاجتها الى تصريف بضائعها ومصنوعاتا في اسواق اواسط اسيا فاطماع النسر الالمانى لن تقف عند حد حتى تصل (هامبرج) رأس الخليج الفارسي .

ومن ذا الذي يستطيع تعيين مستقبل الحال هنا ؟ فلعل ارض مصب الدجلة والفرات تكون كلها في يوم من الايام مغطاة بمحاث القتلى ؟ : انجلترا في الكويت و ممالك اواسط اوربا في البصرة والروسيا في المحمرة (١)

ولقد سعت الحكومة الالمانية للوصول الى هذه الغاية بطرق كثيرة كان يتخللها مع الاسف كثير من الغلطات وما يزيد الانسان اسفا ان الحكومة الالمانية (والنمسية

(١) ان لسياسة مجالا كبيرا في عمل شيء حاسم في هذا الصدد . اذ يمكن اعتبار حيدة المنطقة الواقعة على الشاطئ من الكويت فالارض التي بين مصبي نهر الفرات الى حدود العجم الاصلية خلت نهر قارون عند قطه (هنيديان) فيتكون من ذلك ميناء حرة لا تكون واقعة تحت حكم اى سلطة وعلى ذلك يمكن للضريق الحديدي من فينا فالاستانه ببغداد فالهند ان يمر وسط هذه المنطقة التي ستكون تحت ملاحظة الروسيا من الوجهة الصحية فقط .

كذلك) لم تزن قوى بلغاريا والصرب الحربية وزنا مستقيما كما انهم لم تدرك كنهه تمشي اليونان في طريق النمو الطبيعي . كذلك رجال سياسة الدولتين (النمسا والمانيا) لم يتبينوا الحقيقة الواقعة وهي تعفن الادارة التركية وسوء منقلبها وعدم صلاحية الجنسدى التركي للدخول في مامع الوغى لتركه العمل بامور دينه وسرعة اخذه بالمدنية المسيحية . وعلى ذلك فان المانيا كانت تبني آمالها بقوة نفوذها في الشرق الاذن على عقد محالفة مع تركيا اوعلى الاقل ان لم تتوفر شروط عقد هذه المحالفة فانها (المانيا) تتخذ تركيا عوناتها ولباسا ترتديه في تحويل اهالى شبه جزيرة البلقان واسيا الصغرى وماين النهرين وسوريا : ولقد كانت السياسة الالمانية تنظر لتركيا كما تنظر لرومانيا كقوة كبيرة يمكن الاستناد عليها لرجحان كفة التحالف الثلاثي . ولقد وصل بهذه السياسة الغلو لحداتها كانت اذا ما انفصلت ايطاليا عنها - بدافع انضمامها لفرنسا واسبانيا شركائها في النصر - تريد احلال تركيا محلها .

ان الدماء الالمانية قد كانت تسيل دائما انهارا والمقدونيون والصربيون والبلغاريون يسامون الخسف والذاب واليونان لا يسلمون من شريق فوق رؤوسهم وقبائل البوماق والكرد تقتك في العناصر المسيحية فتكاذريها وتعاملهم معاملة الانعام بل اضل سبيلا ومع هذا فان اوروبا كان لا يبدو منها اقل ضغط على السلطان في ادخال الاصلاحات لولان كثيرا من المالبين النمساويين والتجار وكثيرا من المهندسين والمعدنيين والحفارة الالمانيين كانوا يتجولون في الممالك العثمانية من غير ان يقف في طريقهم احد ويكتبون للصحف والمراجع السياسية في اوروبا عن سوء الحال واخلل الادارة وعدم انتظام الحالة الداخلية التي تستوجب سرعة الاصلاح فلماذا قامت الدول الالمانية وسارعت بالضغط على السلطان في طلبه . فلولا هؤلاء النفر من النمساويين والالمان لجاءت الاصلاحات متأخرة كثيرا عن وقتها الذي طلبت فيه . ولكن السياسة الالمانية والنمساويين خدعوا مرة اخرى يوم اضطرت اعمال عبد الحميد جماعة تركية القامة للقيام بثورة في صيف عام ١٩٠٨

فالنمسا خوفا من ان ترى تركيا الجديدة امة حية ترغب في التمسك بحقوقها اكثر مما ترغب في السلم سارعت الى ضم البوسنة والهرسك لاملأ كها . ولم يرض على ذلك غير ثلاث سنوات حتى رأينا ايطاليا تتبع النمسا في عملها وتعلن انضمام طرابلس الغرب اليها . فالوهن الذي بدا على المانيا لمجزها عن انقاذ تركيا مماحل بها جعل الاميال التركية تتحول عنها تماما وتعرض عنها كل الاعراض .

واذ رفضت تركيا ان تتفق مع ايطاليا على شروط صلح طرابلس فقد اندفعت ايطاليا بما لحقها في الحسائر في محاربتها العرب والضيق المالى الشديد الذى وقعت فيه الى ان تدس الدسائس بين الامم البلقانية لتدفعها للدخول مع تركيا - مخربة الامبراطورية الرومانية - في حرب طاحنة يستفيد منها العالم المسيحي . ولقد قضت ايطاليا على سمعة تركيا العسكرية سريعا باحتلالها جزيرة رودس اما المانيا والنمسا فلمعدهما في نجاح الحكومة التركية واسترجاعها للمجد القديم فانهما باحتلال حكومات البلقان ان تسير في طريق استعادتها للحملة على الاتراك شيوخا وشبانا . ولكن الشجاعة والمهارة العسكرية التي بدت من جانب الامم السلافية واليونان وعلى الخصوص بلغاريا التي سيكون لها شان عظيم جدا في مستقبل شرق اوروبا قد افسدت برنامج دول اواسط اوروبا الذي وضعه لآخر مرة . ولقد كان يتبادر لاذهان اولى الامر في فينا وبرلين ان البلغاريين سيظهرون كفاءة حرية وان الجبلين سيقومون بحملات هجومية تستحق الاعجاب والثناء ولكن الصرب واليونان سيختلط عليهما الامر ويلاقيان مصاعب شتى واذا الحرب انهكت قوى جميع المتحاربين تقوم المانيا والنمسا فتند اخلان في الامر وتعقدان الصلح . ولاشك ان من بين سطور عبارات هذا الصلح الاعتراف بالسيادة النمساوية على قوصوه وعلى وادى الفاردار حق مدينة سالونيك وعلى بقاء المملكة العثمانية بعد ذلك في شرق اوروبا واسيا تحت رعاية ورحمة الاتفاق مع النمسا والمانيا الذى لا شك في ان الدولة العلية تقبله وتذاك بكل سرور وارتياح

ولكن نتيجة المواقع والملاحم التي حصلت في السنة الاسابيع الاولى كانت على خلاف ما قدرته السياسة الالمانية النمساوية ومن حسن الطالع ان النصر ذا الرؤس الاربعة (ويعنى به الكاتب الاتفاق البلقاني) قد اصبح له من القوة والمنعة ان صار جرحه عثرة في طريق مطامع دولتي اواسط اوروبا (المانيا والنمسا) وبفضل ذلك النصر كتب الله لمقدونيا ان ترحم من حكم تلك الدولة الاسلامية الضعيفة كما كتب الخلاص لثلاث امارات كانت معرضة لخطر استيلاء النمساويين عليها فيمتصوا دمائها . ان النمسا اذا هددت دول الاتفاق البلقاني وارادت ان تحرهمهم ثمار انتصاراتهم قبل ان تفتح الاستانة فان هؤلاء (البلقانيين) سيضطرون وقتذاك الى طلب معونة روسيا وبما لا شك فيه ان في ذلك محو تركيا محو ابدى لا قيام لها منه البتة كما ان تداخل روسيا هذا سيقضى الى الابد على اى مطمع للنمسا والمانيا

في الشرق . كما انه قد يكون سببا في امتداد نفوذ روسيا حتى شواطئ بحر الادرياتيقي وفي ذلك الخطر الاعظم على توازن البحر الابيض المتوسط وذلك هو السبب في عدم تملك إيطاليا في تجديد معاهدتها مع النمسا تلك المعاهدة التي تعتبر غير طبيعية بالمرّة .

ان النمسا تحاشت خلق حرب اوروبية عامة بامتناعها عن احتلال نوفي بازار واكتفائها بما هو ادنى من النظر في شؤون البانيا وتنظيم امورها على انها ولاية مستقلة اليوم ولكنها قطعة من املاكها في الغد . فهي بذلك قد تنازلت عن آمالها التي كانت تجول في خاطرها منذ ٤٥ عاما من حمل سالونيك مرافها الجنوبية . ومن الغريب ان النمسا والمجر والمانيا ورومانيا — دول الاتفاق الرباعي في المستقبل — تفكر في ان الدول البلقانية حتى الاستانة وشبه جزيرة غاليبولي والحدود اليونانية (التي لا يدخل ضمنها سالونيك لان هذه من نصيب الصرب) سيمكن التفاهم معها او الدخول سوية في اتفاق واحد — ماليا وتجاريا وسياسيا — مع زبانية (هكذا) ممالك واسط اوروبا .

ان تركيا حتى لو فرض انها ضربت في هذه الاسابيع الضربات السريعة القاضية عليها بعقد الصلح الذي فيه تسلم جميع — او الجزء الاعظم من — املاكها الاوروبية فانها مع ذلك لاتزال خطرا على السلام العام الا اذا وضعت تحت رعاية دولية عامة

ان امة ذافت طعم الحرية وتمتعت بثمارها زمانا لا يمكنها باى حال ان تقبل مداخلة دولة اخرى كالروسيا مثلا في امورها الداخلية . وامامنا شاهدا على ذلك حالة بولونيا وفنلندة . ان البلقان ستكون بعد هذه الحرب في حاجة الى رؤوس الاموال والى الادوات الحربية والى طريق سياسة رشيدة تسلكه والى رجال محكمين يديرون دفة شؤونها حتى يتسنى لها بذلك ان تبقى امة مستقلة بمفردها .

والمتطلع للاحوال السياسية يرى ان عقد تحالف بين مقدونيا وايطاليا وفرنسا وبريطانيا لسد هذا العوز غير ممكن اصلا . فان المانيا تجاوب هذا الاتفاق في الحال بحملة من الجهة الشرقية يكون من المتعذر صدها . نعم بالطبع يخطر على بال المشتغل بالمسئلة المقدونية امكان تداخل الولايات المتحدة فان مواطني الامريكان بما جبلوا عليه من التعاليم الصحيحة قد هيئوا الطريق الصحيح لكل هذه الفتن واثورات داخل اطورية العثمانية التي تحر السومى عظامها واصبح من المستحيل

شفاؤها . ومن المتصور والمعقول ان الولايات المتحدة قد تمد البلقان برؤوس الاموال الطائلة الكافية لاستهلاك الدين التركي ولبناء الطرق الحديدية واقامة الحصون والمعازل وتشبيد البوارج الحربية والاساطيل الضخمة وشراء المدافع الكبيرة وما يلزمها من الذخائر بكميات عظيمة بحيث يمكنها الدفاع عن نفسها من كل طارئ ولا سيما من النسر ذى الرؤوس الاربعة (هكذا) ولكن هل الولايات المتحدة تقبل ان تقطع خط الرجعة على صديقتها المانيا — في وقت ما في حال انها في حاجة لتنظيم شؤونها السياسية في بلاد المكسيك وعموم واسط امريكا ؟

ان الحالة السياسية التي كانت الى قبيل اليوم بقرب تسمى بمسئلة (تركيا في اوروبا) لم تكن تستدعي تداخل انجلترا اللهم الا اذا كانت سلبت كريد من ايدي اليونان او ان الروسيا احتلت الاستانة او قبضت بيديها على الدردنيل . اننا بكل ارتياح نرضى بحرية مرور المراكب الحربية الاجنبية من البوسفور والدردنيل على شريطة قبول النمسا والمانيا . واذا ما لم تقبل ذلك واصرتا على بقاء الحالة على ما هي عليه من سد البوغازين في وجه السفن الحربية يجب عليهما ان تستعدا لمقابلة الصدمة الهائلة التي سيقذفها عليهما غيظ الدب الروسى . ولكن احتلال اروسيا لهذا المضيق بين اوروبا واسيا ويجاد منطقة روسية في غرب او جنوب اسيا الصغرى يكون خطرا عظيما جدا على التوازن الدولي في البحر الابيض المتوسط وعليه فان انجلترا لا يمكن ان تقبله باى حال من الاحوال . والمتنظر في مقاومة هذا التيار ان تتحد سوية مع التحالف الثلاثى (المانيا — النمسا — ايطاليا) ومع فرنسا والولايات البلقانية . ان الروسيا لم يعد لها من حق في تضيق الخناق على ام اوروبا الناهضة او ان تضع يدها على ما يقع في الطريق من اوروبا حتى الخليج الفارسى . فان غاية الروسيا ان يكون لها مرفأ جنوبى في المنطقة الحارة حيث تتمكن بحريتها التجارية من تصريف محصولاتها ومصنوعاتها في بلاد المنطقة المعتدلة من اسيا وافريقيا . فالواجب على الروسيا في مثل هذه الحال ان تتخلى عما لديها من بلاد فارس الاصلية وتكتفى بمنطقة ضيقة تبندى من تبريز وتنتهى عند الركن الشمالى الغربى للخليج الفارسى ولكن نفوذ الروسيا في شبه جزيرة البلقان واستيلائها على الاستانة وعلى الشاطئ الجنوبى من اسيا الصغرى يمكنها من الزحف على سوريا ومصر بقوى هائلة لا يمكن مقاومتها . فهي على ذلك وعلى انه لا يمكن غزوها من جهة بحر البلطيق او بحر المحيط المنجمد الشمالى وعلى

مقاومة استيلائها على مضيق الدردنيل وجنوب اسيا الصغرى يمكن اعتبار النمسا والمانيا حليفين لانجلترا . فالواجب علينا نظرا للمستقبل البعيد وخصوصا بعد ذهاب تركيا ان نكون على وفاق تام مع دولتي اواسط اوروبا وان نكون معهم على الدوام في صفاء تام .

ومع هذا فانه لا يمكن ان نقف في اعجابنا بدول الاتفاق البلقاني عند حد او ان نهضمهم حقهم في الحرب الحاضرة . اننا نتمنى من صميم قؤادنا ان تجدد الصرب في سالونيك وجزيه (شاليس) ما ترجوه من توسيع نطاق ملكها وما هي جديرة به . وكذلك من الجهة الغربية نتمنى ان تمتد حدودها مع حدود الجبل الاسود والباليا وان تجد لها منفذا للبحر الادياتي . ولكن لبلغاريا بعد ذلك تساليا وفي الغالب ايضا ان يكون معها شاطئ بحر مرمره الغربى وقل حتى « الاستانة » وعلى ذلك فمن السهل الميسور على بلغاريا بعد ان اتسع نطاق ملكها وامتدت شواطئها ان تتنازل عن تلك المنطقة البسيطة الواقعة ما بين سلاستريه واکرين لرومانيا التي تلحف في طلبها

اما اليونان فانها في الغالب ستكون اوفر المتحالفين قسما بالنظر لتفضية الرجال والمال . لان الممارك اليونانية مع الاتراك لم تكن غير فسحة حربية وخصوصا عند مقارنتها بتلك الممارك الدموية الهائلة التي خاضتها الجنود العصرية في برشتنه وكومانوفو واسكوب او تلك التي خاضها البلغاريون في قرق كليسا وادرنة وشتالجه وغاليبولي . نعم ان البحرية اليونانية قامت بعمل مجيد اذا احتلت بجنودها جزيرة كريد واسبوريد وساموس وساكس ومدلين وفي الغالب ان اليونان ستبقى هذه الجزائر في يدها للاغلبية العظمى التي يتكون منها سكان هذه الجزر (يونان) . ولكن على ما يرى ان مثل جزيرة منوس وايمبروس والجزر الاخرى القريبة من شواطئ تساليا ستعطى للبلغار . اما ايطاليا فسيكون نصيبها على ما يظهر جزيرة رودس وعلى ما ارى ان نفوذ الدولة اليونانية في شرق اوروبا الجنوبي سيتسع ويترداد كثيرا اللهم الا اذا رجعت لتركيا الحياة من جديد ودب في عروقها ديب النشاط فنظمت جيشها واعنت على الاخص بتعليم مدفعيتها التي تعتبر في الحاضر مفقودة بالمرّة لجهلها بجميع التعاليم الفنية . ولكن نقطة النظر ليست في ذلك بل انها فيما ستؤول اليه الاملاك العثمانية في اسيا حيث توجد الاطماع الاشعية الكثيرة

بين المسيحيين وبين المسلمين وبناء على ما يدور على السنة رجال السياسة وكبار الامم القادرة ترى ان المسئلة الشرقية ستنتهى بهذا الشكل

اولا ان تطلق حرية التجارة في جميع الاملاك العثمانية الحاضرة بمعنى ان لا يكون فرق او تفضيل في التعاريف الجمركية سواء في اسيا الصغرى وارمينيا او ما بين النهرين او حلب او سوريا او بلاد العرب او مصر او قبرص اى ان لا يكون لاحدى الدول العظمى اية ميزة على الباقيين .

ثانيا ان يوزع الدين التركي على جميع الولايات التي كونت جزءا من المملكة العثمانية في اوروبا واسيا وافريقيا منذ اول القرن العشرين وبشرط ان لا تريد حصّة مصر او قبرص من هذا الدين عن مبلغ الجزية السنوية الحاضرة وان تعطى للتسهيلات اللازمة بالطبع

ثالثا ان يصدق لانجلترا على حق الملكية المطلقة في قبرص ومصر وسينا وكذلك حماية فرنسا لسوريا وجبل لبنان : وان تؤسس في فلسطين ولاية صهيونية تكون تحت رعاية جميع الدول العظمى : وان يعطى استقلال تام لشبه جزيرة العرب (الحجاز واليمن) : وان تمنح روسيا حق وضع طربزون وارمينا تحت حمايتها مباشرة : وان تبقى ايطاليا رودس بيدها .

وفي النهاية اذا كان ولا بد ان يبقى على ظهر المسمور ما يقال له ملك آل عثمان فمن المستحسن ان تنسخ صبغة الملك الحاضر ثم يعاد تأسيس سلطنة جديدة ومن التحمل ان بتدبى من الاستانة وتضم ما بين النهرين حق الخليج الفارس وهذه السلطنة لابد ان تكون تحت الحماية الالمانية وان تكون ماليتهما وخارجيتهما تحت نظارة السفير الالمانى مباشرة من غير واسطة اى انها تكون في مركزها المستقبل مع المانيا كمبر مع الانجليز

ان حلا كهذا مع انه هو الطريق الوحيد للتخاض من شر واخطار المسئلة الشرقية التي لها قرن كامل وهي تهدد السلام العام لا يمكن ان يتم بسهولة قبل

ان انتهى الحرب الملقانية وتبلى للرئين نتائجها وعلى هذا فاعمل رجال السياسة الاوروبية يرون العمل من الطريق الآخر الاقل صعوبة وهو تقسيم المملكة العثمانية الى مناطق نفوذ تاركين كل منطقة في اسيا ومصر الى الملاحظة المطلقة والنفوذ المالى من جانب الدولة التى سيكون لها النفوذ والى راعى ان تكون ذات مصالح خصوصية فى تلك المناطق تسترعى النظر فى شؤونها . ولكن تعيين هذه المناطق طبقا للحدود الجغرافية الطبيعية اللهم الا فلسطين فانها يجب ان تكون تحت رعاية جمعية مسيحية من جميع الامم ولعمل من المستحسن ان تعين لها وال وحرس (جاندركة) من يهود ويكونون تحت امره تلك الجمعية المسيحية .

ولكن لعل معترضا يقول هل الاتراك انفسهم يقبلون مثل هذا التقسيم ؟ والجواب على ذلك ما الذى يمكن ان يعمل الاتراك او يقوموا به اذا امكن الدول ان تتفق على ذلك ؟ ؟ انهم اذا لم يخضعوا للقرارات اوروبا فانهم يحرمون نفوذها واساحتها . وهل كان لتركيا حق البقاء بعد سنة ١٧٨٨ لولا تنافس انجلترا وفرنسا وروسيا والمانيا والنمسا ؟ ان على رأس اولئك الذين كانوا سببا فى عدم اتفاق الدول منذ ذلك الزمن تقع اللعنات وينزل جزاء تلك المظالم والوحشيات الهائلة التى ارتكبت فى اليونان وكريد وجزر الارخبيل والبلقان والاضول وارمينيا وسوريا وبلاد العرب ومصر منذ قرن مضى . فلولاً المنازعات الاوروبية والاختلافات بينهم لكان الاكراد اليوم قد لا قوا ما جنت ايديهم وجوزوا على الماضى شديد الجزاء . ولولا نفس هذه الاختلافات لما كانت مصر تعرضت لحمل هذه الديون الطائلة التى قصمت ظهرها . ولولا هذه الاختلافات لما وقعت البن تحت طائلة ذلك الحكم الذى اخفى على اهلها وجمالها خرابا بلقا ولكانت اليوم ترفل فى عز وتبادل متاجرها مع اوروبا بكل راحة وطمأنينة ولولا هذه الاختلافات لكانت بغداد اليوم زهرة العلوم ولا سترجعت ايامها الاولى على عهد الرشيد . ولولا هذه الاختلافات لكانت الاستانة اليوم روما انمانية . ولولا هذه الاختلافات لكانت الولايات الملقانية اليوم مورد رزق وثروة . ولولا هذه الاختلافات لكانت سوريا اليوم ارض الجنان ولكانت استمدات مجدها القديم زمن كان بها الفتيقون واليونان والرومان . ولولا هذه الاختلافات لكانت اسيا الصغرى اليوم منبع العلوم والمعارف ومهدا للمؤرخين العظام ورجال الحفريات والبحث والرياضة والفلك فتستعيد ايامها القديمة منذ الاجيال الاولى حتى زمن المسيحية (٤)

فقل بالله عليك من هو ذلك المخلوق الذى يعرف للانسانية معنى فيقول اليوم باستحقاق الترك للحكم فى اى قطعة من قطع الدنيا ؟ ان التركى محارب قوى وجندى شجاع . وكذلك رأينا الجندى النبلسارى والعربى . انه امين وصبور . وكذلك رأينا الملبانيين . وعلى اى حال مهما كانت صفات العثماني الشخصية فانه لا شئ البتة فى السياسة . ولكن لا ننسى فوق ذلك كله ان التركى بايد . والا فليقل لنا من هم مهندسو بنائه ؟ اليسوا اليونان والعجم والعرب والبرابر والطلبان والفرنسيين ؟ ليقل لنا من هم اطباؤه ؟ اليسواهم يهود وارمن وعرب واكراد ويونان . ليقل لنا من هم ارباب المال لديه ! اليسواهم يهود ويونان وارمن والماني وطلبان ورومانيون د ليقل لنا من هم قواد بحريته اليسوا يونانيين او سلافيين وصقليين ومصريين وبربري وعربا . ليقل لنا من هم قواد جيوشه ؟ اليسوا البانيا واكرادا وشركسا والماسانا ومجربين . وفوق هذا فلننته مجردة من الادبيات وليست فى الحقيقة الارطانة اعجمي مما يستعمله سكان المنخفضات الاسيوية ولولا ما استعارته اللغة من الالفاظ العربية والفارسية والرومية لما كانت تمتد ضمن اللغات .

لقد كان الاتراك فى شرق اسيا ووسطها وغربها سببا فى خراب الصين وفارس ومدينة اشور فى اواسط اسيا . كذلك قضى الاتراك على غرب مصر والحقوا بهم المصائب والزوايا ولم يتركوهم حتى افنوا معظم السكان اذ نزل تعداد سكان مصر فى ايام حكمهم من ثمانية ملايين الى مائتين فقط . كذلك قضوا على قبرص واهلكوا حرثها ونسلها بعد ما كانت ولاية عامرة بالحيرات آهلة بالسكان . كذلك قضوا على طرابلس فاهلكوا اهلها وشتوا شملهم وكذلك الحال فى تونس والجزائر . كذلك كان شأنهم فى كريد فانهم كادوا يرجعون اهلها الى عهد الوحشية القديمة . كذلك لم يتركوا شبه جزيرة مورة حتى كانوا اتوا عليها نهبا وسلبا . ومن الاسف انهم كذلك كانوا سببا فى عدم نجاح النهضة الفارسية ايام حكم الشاه سوفى (هكدا) اما تساليا ومقدونيا والرومللى والبلغار والصرب وابيرس وبسارابيا ووالاشيا فحدث عنها ولا حرج لانهم تركوها وهى صحراء بلقائليس فيها من اثر للامارة والحضارة ما يذكر . مدينتها حقيرة ضيقة . لازقة والطرق وارضها قاحلة جرداء ليس بها من الزراعة شئ حتى ان الغابات الطبيعية كاديقيى عليها نحس الاتراك وسوء تصرفهم . فهل بالله يجوز لاوروبا ان ترى حرمة لانباء هؤلاء المخربين ؟ ما الذى يستحقه ديننا التركى من الرحمة والشفقة ؟ ما الذى قدمه هذا التركى المتحوس

للمحلات المسيحية المقدسة والاسلامية منذ استولى على البلاد بعد ان اكتسبها هولاء ودمر مدينة الرشيد ولم يبق لها من اثر يذكر ؟ او ما الذى قدمه في سيله العلم لحفظ آثار المصريين والاشوريين والعجم واليونان والرومان والبيزنطيين والسلاجوقين والبنديين ؟ لقد كان ما بين النهرين في ايام خلفاء العباسيين جنة الخلد ومورد النعم والبركة فما بالها اليوم تحت حكم الاتراك أصبحت صحراء مقفرة ؟ ليجبنا الذى يريد ان تجرد من الانسانية ويدافع عن ادوار الحكيم التركي المنحوس نعم ان في البلاد العثمانية كثير من طيب الرجال والنساء وحقيقة ان اغلب السكان معتدلو المزاج واجسامهم قوية قابلة لكل رقى ولكن كم من هؤلاء من هو تركى اصلى ؟

الحق يقال ان سكان المملكة العثمانية قلى خلق الله للرقى والحضارة فازح عنهم ذلك الحكم المظلم حكم الاتراك وارشدتهم الى طريق العلم والعمل وانت ترى من عناصر هذه الدولة رجالا ولاكل الرجال. لديك من فيهم اليونان والالاظ والشركس والارمن والسوريين والعرب واليهود والكرد فهذه العناصر تحت حكم آخر تجرد منها كل ما ترجوه وتنظره من اكبر امم الارض الرشيدة فسرعان ما تتساق هذه العوالم في ميدان العمل فتتصل حلقاتهم بحلقات الامم الاخرى فيشعرون بحقيقة الحيدة البشرية النعيمة التى حرهم منها ذلك العهد المظلم عهد الاتراك. ان جميع سكان تركية اسيا بعد الفصل فى امر الحرب الحاضرة وتسوية امور هذه الدولة العتيقة على ما سبق شرحه سيجدون منفذا كبيرا يخرجون منه الى حياة هذا العالم لراقة فيزداد تعدادهم وتكثر ثروتهم وتسمو افكارهم ويصبحون قوة فعالة فى هذا الكون . ولعل الاتراك انفسهم يستعيدون اذذاك نشاطهم وقوتهم . ولعلمهم يخضعون عنهم كل رواء شرق عتيق ويتمقلون المدينة الاوروبية فيطامقون سراح نسايتهم من الحريم (الذى هو حقيقة سبب بلاد الاتراك وفسادهم) حتى انهم يتوالى الزمن ومخالطة ذوى الشهور والاخلاق يمكنهم ان يأخذوا لهم مكانا يليق بهم بين امم الشرق الادنى ان خمسين سنة على هذا النحو تجمل اوربا تحتهم وتطاطى لهم رأسها وليكن للاتراك بعد ذلك الخبرة فى اعتناق دين الدنيا العام وهو المسيحية او ان يبقوا على دينهم الاسلام ولكن على شرط ان يهذبوه ويصلحوه على طبق المبادئ المسيحية او اليهودية بمعنى ان يجرده من خرافاته وخزعبلاته التى كانت سببا فى القضاء على كل من دان بدينه

ه . ه . ه . جولنتون

وقفه تركيا الاخيرة

المذابح البلقانية

جاءنا نص الخطاب التى القاها تحت هذا العنوان فى جامعة اندرى فى ٢٤ فبراير المسيو فيليكس فالى احد كبار رجال الصحافة المجرية فترجمها للقراء فيما يلى : —
لنسمحوا لى اياها السادة ببسط شئ قليل من تفاصيل تلك المذابح البشرية التى لم يسبق لها شبيهه فى تاريخ الدنيا العام حتى اليوم . فاليكم مقاله فى هذا الصدد يومان باشا القائد الفرنسى الذى كان مفتشا عاما لقوى الجاندرمة العثمانية فى دده اعاج :

قال : فى يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر نوفمبر الماضى حوالى الساعة الثامنة مساء بعد ما خلعت الحامية العثمانية القليلة المدينة دخلتها على حين بغتة عصابة بلغارية تتألف من مائة وخمسين رجلا كاملى العدة . فنذ استولى هؤلاء على المدينة ارحوا لانفسهم العنان فى ارتكاب الفظائع والمنكرات التى تقشعر لهولها الابدان فلم يتركوا تركيا اوبينا تركيا حتى اغتصبوه عنوة واتوا على جميع ما فيه نهبا وسلبا غير تاركين فيه لاطفالا صغيرا ولا فتاة ولا امرأة ولا رجلا واستعمروا على وحشيتهم هذه حتى انتصف الليل ومن الاسف ان المسيحيين من سكان هذه المدينة قد اشتركوا مع هذه العصابة فى ارتكاب تلك الجرائم فقد كان كثير من هؤلاء السكان يرشدون افراد العصابة الى البيوت والاشخاص التركية . وقد كانوا يضعون صليبا ابيض على ابواب المسيحيين واذ رأى المسلمون ملاحق بهم من هذا الرزء العظيم التجأ كثير منهم وبينهم الشيوخ والنسوة والاطفال الى مسجد بالمدينة على ظن منهم ان البلغاريين يحترمون بيت الله ويقصدونه فلا يقر بونهم فيه ولكن لم يكن فى البلغاريين من يعرف الله ولذلك تبعوهم وحاصروهم فى المسجد فلما ان ضاق بالحصورين الحال اطلق احداهم مسدسه على نفر من العصابة فارداه قتيلا فلم يكد القتيلى يسقط على الارض حتى امطر البلغاريون الحصورين نارا حامية جعلت حث هؤلاء المساكين تتساقط فوق بعضها . ولم يكف البلغاريين ذلك بل اخذوا يرمون المسجد بالكرات الديناميتية المهلكة حتى اهدموه وقد كان المنظر فظيما جدا لدرجة لا توصف . ولقد وجد المسيو يومان فى صباح ذلك اليوم عند ما ذهب ليرى اثر هذه الحوادث ان اكثر من خمسة وعشرين جثة لاتزال على الترى ظاهرة من بين انقاض المسجد غير التى سترتها

هذه الانقراض. واليكم نص ما كتبه المسيو بومان نفسه عن هذه الحادثة ليكون اشيع لنفوسكم :

قال : لجأ بعض الاتراك (وعدهم ثلاثون) الى مدرسة للقساوسة الطليانيين فاكشف الاروام امرهم فسار عوا الى رجال العصابة البلغارية وابلغوهم الخبر في الحال فذهبوا مسرعين الى القسيسين يطلبون منهم تسليم من التجأ اليهم من الاتراك ولكن هؤلاء لم يقبلوا ورفضوا طلبهم بتاتا ولكن احد الاتراك اللاجئين وهو رضا بك مندوب الحكومة العثمانية في شركة السكة الحديد الفرنسية سلم نفسه في الحال لهؤلاء السفاكين القتلة وذلك خوفا من ان تمسك القساوسة الطليان بهم قد يجلب عليهم سوءا او ضررا من رجال العصابة . فلما ابتعد البلغاريون بفرستهم خمسين مترا من المدرسة الطليانية او قفوه بينهم وسيوفهم مسلولة وسألوه تسليم جميع ما يملكه من النقود وان يرشداهم بمد ذلك الى منزله . ولكن رضا بك الذي امره معرفة شخصية (وله زوجة شابة في مستقبل عمرها وطفل صغير) وهو من الشباب المهذبن الراقين تنابها سيحيق بعائلته من الاخطار التي لاشك فيها ولذلك فضل الانكار بتاتا فانحى عليه هؤلاء بسيوفهم حتى سقط على الارض قتلا . ولقد رأيت بعيني رأسى احد الذين قتلوه قد اقتلع حذاء ذلك الفقيد وملبسه في الحال . وقد بقيت جثته في مكانها خمسة ايام وفي كل يوم كان بعض البلغار يأتون يأخذون ملابسهم قطعة قطعة حتى كانت جثته في آخر يوم عارية الا من قميص ولباس مضرجين بالدماء .

ولقد رجع رجال العصابة الى قساوسة الطليان وطلبوا منهم تسليم جميع ما لديهم من النقود والا اتوا عليهم قتلا . فاذعانا لهذا الامر وخوفا من العقاب السينة التي تتشأ عن رفضه سلم الآباء مالديهم من المال وقدره مائة ليرة عثمانية فاخذها هؤلاء وانصرفوا .

وعدا هؤلاء الطغام الذين امتد شرهم في كل سقع والذين كانوا يسبقون في المادة الجيش البلغاري لاحتلال القرى والمدن توجد للصمصوح المحلية وهم جميع العناصر الرومي القاطن بالمدينة الذي بمجرد ما شتم خبر ذهاب الحماية العثمانية بدأ يمزق حرمة البيوت الاسلامية ويرتكب فيها المنكرات وكذلك المساجد ودور الحكومة . فما وجد امامه فراشا او سلاحا او اثنا الا وضع يديه عليه . ولقد

دام هذا الحال في المدينة ثمانية ايام كاملة ولم ينقطع هؤلاء الوحوش عن ارتكاب الجرائم والموبقات الا وقت ان اخذ العلم الفرنسي يظهر في عرض البحر فوق الدارعة (جيران دي لاجرافير) وبظهورها اختفت اللصوص وعاد السكون لنصابه :

لقد كان الاروام الساعد القوى لرجال العصابة البلغارية في جميع ما ارتكبهوه من القتل والسلب ولقد رأيناهم يقيمون المراقص احياء لتلك الليلة الرهيبة التي دخل فيها البلغاريون المدينة . ولقد كان سلوك الاروام ازاء الاجانب مزريا جدا فقد اهانوا المسيو (رجويون) وكيل قنصل النمسا ووكيل شركة الديود وطلبوا من جميع المحلات الاجنبية ان تقفل ابوابها حتى تأخذ مكانها محلات يونانية واذ علم الجيش البلغاري الذي كان يمسك قريبا من المدينة التي وضعها تحت رحمة رجال العصابات بوصول الدارعة الفرنسية سارع الى احتلال المدينة فلما حضر قبطان الدارعة ووجدان في المدينة قوى نظامية رأى ان لافائدة من ازال يمارته للبر ولذلك ترك المدينة وذهب الى كافالا حيث كانت تجري فيها نفس هذه المظالم وعلى اى حال فقد كان للضباط الفرنسيين الوقت الكافي للنزول الى البر ومعاينة الحالة الوحشية التي كانت عليها المدينة وقد اخذ بعضهم مصورا شمسية لبعض المناظر التي بقيت من اثر حمة المسيحية في القرن العشرين !!! واذ حضر الجيش البلغاري واحتل المدينة بالفعل ذهب الآباء الطليان الى الجزال (جنف) وشكوا اليه ما حل بهم على ايدى رجال العصابات البلغارية ففتح لهم محضرا واجرى تحقيقا انجلي معه الامر على ثبوت التهمة ضد هؤلاء البلغار حتى انه وجد ايضا سبعمين جنيا باقية من المائة التي سلبوها من الآباء . ولكن بعد هذا كله وبعد ظهور الحقيقة ناصعة فان حضرة القائد لم يقبل رد المبلغ لاصحابه وقال لهم « بما ان في عزمننا اقامه اثر جنودنا في هذه الحرب فساخفظ هذا المبلغ على ذمة هذا العمل »

وقد حدث ان احد قساوسة اليونان جمع النسوة التركيات في المدرسة اليونانية بقصد ان يحميمهم شر غائلة ذوى القلوب الصخرية من البلغارين وسواهم فلما ان علم الجزال (جنف) بهذا الترتيب فكر ان يجبر هذا القسيس (من طريق شرعى انظاه) على اخراج النسوة فطلب اليه اخلاء المدرسة لاسكان الجنود البلغارية مكانها وقد تم ذلك بالفعل واخرجت النسوة في حالة من الفزع

والهلع يصعب وصفها وقد امرن بالمسير الى بيوتهن حيث كن واعطين الامان بان لا خوف على حياتهن وجميع ماملكن . ولكن ما اختفت الغزاة وراء الحجاب وارخن الليل سدوله حتى نكت البلغار يرون المهمد وانساب الجنود . البلغارية انسياب الافعوان واخذت تقتحم ابواب النسوة المجردات من السلاح والنيصير وتمتلك اعراض السيدات وتقتض بكارات العذارى وتفسق في الاطفال وبالجملة فلم تدع هذه الوحوش الضارية انسانا - اثى اورجلا - الا ارتكبت معه اشد المنكرات وافظلها . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان التى كانت تبدى اقل معارضة لارتكاب الفحشاء معها كانت تقتصب عنوة ثم تساق الى القبر قددفن فيه وهى حية . هذا هو النموذج الذى تسير عليه الفظائع البلقانية وان بقية التقرير كلها على هذا الشكل بل اشد وافظع .

ولقد نشرت جريدة (غازت دى فوس) في عددها الصادر يوم ٧ يناير كتابا لاحد القساوسة (يريبو) المقيمين في سالونيك جاء فيه « ان البلغاريين قد ذبحوا الاهالى الاتراك بالآلاف المؤلفة . وان العصابات البلغارية قد اعدت مكتبة من الفظائع ما لا يمكن وصفه »

وقد نسب جامع كومانوفو بالديناميت . وفي طريقك الى باليكودا كنت ترى قبور الاتراك الذين ماتوا من شدة الجوع والبرد (ورؤوسهم ظاهرة من القبور) وفي مدينة متشدينشافر ذبح جميع الذى لجأوا الى المسجد للوقاية من شروق العصابات البلغارية وفي مدينة فيسوكا قتل العصابة البلغارية التى على رأسها (دامبالوكو) خمسمائة مسلم ومسلمة بينهم اطفال لاتزيد سن الواحد منهم عن ثلاث عشرة عاما بعدما فسقوا في الجميع ولقد رأينا ابطال البلغاريين بعد هذه المواقع - اوبالاحرى المذابح البشرية - يذهبون الى سالونيك ويلعبون بالذهب الذى عنموه من المسلمين لعب الصبيان بالاء كر

وفي كلستش ذبح طبيب عثماني بعد ان اجبر على حضور اغتصاب زوجته على يد ضابط بلغارى . وفي باجدانتر وضعت احدى العصابات البلغارية ستين مسلما في احدى الجوامع وبدأت تذبحهم الواحد بعد الآخر على مرأى من الجميع . وفي بتروو كانت العصابات البلغارية تقبض على الفتيات التركيات وتقتض بكارتهم على حضور امهاتهم . فهل تعتبر هذه الاعمال الوحشية من الفضيلة في شئ وهل هذا هو منتهى ما وصل اليه المدنية المسيحية في القرن العشرين ؟؟ اللهم انك اعلم ان هؤلاء ليسوا من الانسانية في شئ !

اسباب انحلال تركيا

كانت هذه الحرب الطاغية الاثمية لا تكون ضربة قضية لو انها لم تفقد فيها الدولة غير مقدونيا والبانيا . لان سيادة الدولة على هاتين الولايتين كانت سببا من كبر اسباب متاعب الدولة في سننها الاخيرة .

لقد كانت معاهدة (سان استيفانو) بالنظر للمصالح العثمانية اخف وطأة من معاهدة برلين التى كانت في الحقيقة رمزا على ضعف السياسة الاوروبية في ذلك الحين . ان تركيا لم تجن شيئا من بقاء مقدونيا تحت نفوذها منذ ١٨٧٨ . بل بالعكس كان بقاء مقدونيا في حوزتها حملا ثقيلها عليها اذ بلغ ما أغتمته الدولة في ربوع مقدونيا من ذلك الحين حتى الان ما يربو على الستين مليوناً من الجنيهات كانت الدولة في أمس الحاجات لصرفها في وجوه الاصلاحات النافعة ببلادها في اسيا . كذلك ضححت الدولة في ميادين مقدونيا خيرة شبانها الاقوياء ذوى السواعد المقتولة والنفوس الكريمة والسجيا المحموده .

كانت بلغاريا منذ ثلاثين عاما تستعد لحرب ضد الدولة العلية فضياع مقدونيا كان نتيجة لا بد منها وخصوصا امام اطماع المهاجرين .

ان ضعف تركيا في مقدونيا والبانيا كان امرا معلوما لجميع الخاق . ولكن الامر الذى يستوجب الدهشة والاستغراب هو السهولة الخارقة للعادة التى افتتح بها المهاجون هاتين المقاطعتين . ان السبب في ذلك ان المتفقيين كانوا قد مهدوا الطريق لانفسهم بين سكان هاتين المقاطعتين ولان الاتراك اخذوا على غرة من نفس رعاياهم المخلصين ! : لقد اشتهر الالبان بمعاداتهم للحكومة العثمانية فلم يكذب يسمع صدى اول طلقة من مدفع حتى وضعت العساكر الالبانية العلم العثماني تحت قدميها فالنتيجة ان كثيرا من الالبانيين قد خانوا دولتهم تحت تأثير بريق الذهب الوهاج الذى كان يتدفق عليهم من المصادر الاجنبية التى عرفت كيف تستفيد من القاء بذور الشقاق بين الباب العالي والالبيين

وان الطريقة التى اتبعتها الدولة في سياستها مع البانيا كانت من اوحش واسوأ الطرق وانها لسبة كبرى في تاريخ السياسة العثمانية سيما اذا روعى استعمالها مع امة معرضة للفساد للاجانبية جميعها . ان هذه السياسة العوجاء كانت السبب في ترمى الالبانيين في احضان الاعداء فاصبحت بذلك البانيا - ذلك الجزء

الصعب المنال الحبحر الضعيف في تركيا اوروبا . والكم نص اشارتين بريتين
مرسلتين للباب العالي من قائد فرقته بالبانيا لتر والحالة الروحية الحربية في البانيا .
ارسل اسعد باشا وهو مبعوث دورازو السابق وقائد فرقة اشقة ودرة
— من البانيا — الاحتياطية مايلي — استجلفكم بالله العظيم وبنييه الكريم
ان لاتدعوني مع هؤلاء الناس وارسلوا الى جنودا تركية

وارسل ايضا محمد باشا قائد حامية برشته الى الباب العالي على منوال رفيقه
اسعد فقال : — لعنة الله وسخطه ينزلان على رؤوس من يسمونهم باشراف . اعينوني
بجنود تركية .

ولعلمكم لاتنسون ان فرقة البصان — الالبانية — المكونة من ٧٥١٠ الباني
و ٢٥٠٠ تركي هي التي رفضت التقدم لمحاربة العدو وارغمت الاتراك على التقهقر
وقد وقع كثير من امثال هذه الحادثة في جهات كثيرة من البانيا . اتى اشك
كثيرا في تأثر الاتراك لضياح البانيا ولعلمهم لم يذرفوا عليها دمعا كثيرا (ولا قليلا)
ويقولون الان في بعض الدوائر السياسية ببقاء السيادة العثمانية الاسمية فوق ربوع
البانيا المستقلة والاغرب والا عجب من ذلك ان الروسية هي التي اقترحت ذلك
الحل الكاذب الذي يظهر ان الدول العظمى ترغب في مناقشته وتعديله . ان سيادة
الدولة على البانيا لا تجديها نفعا بل بالعكس فانها ستكون مبعث شقاء وعناء
جديدين والدولة في اشد الحاجة لتجنبهما .

لقد كان لتركيا من التجارب الحزنة العديدة مع السياسة الأوروبية ما يحملنا على
القول بان بقاء سيادتها الاسمية على البانيا سيكون فاتحة مصاب جديد . فخير
لتركيا ان تترك نهائيا كل سلطة او شبه سلطة لها على البانيا . خير لها ان تدع
البانيا تسير في طريقها الجديد من غير ان يكون لها بها اقل علاقة لان المستقبل مظلم .
خير لتركيا التي لم يعد لها نصيب في ادارة الشؤون الالبانية والتي لم تعرف في الماضي
كيف تحكم هذه الولاية خير لها ان تتركها نهائيا لان العمل في بقائها سائلة من
شروع هذه الولاية ضعيف جدا . لماذا تريد الدول الأوروبية العظمى ان تخلط شؤون
تركيا من جديد بالمسئلة الالبانية التي قد ينتج منها في المستقبل مسائل سياسية
يصعب على تركيا تحملها ؟ ولماذا تتداخل تركيا في امر البانيا التي لم يعد لها
من امرها شيء ؟ وما الذي سيعود على تركيا من بسط سيادتها الاسمية على البانيا ؟
ان هذه السيادة التركية الوهمية لاتساوي قلامة ظفر بل بالعكس ان هذه السيادة

ستكون بابا مفتوحا للدسائس الاجنبية من جديد .

ان تلك المنحة الروسية كان القصد منها ادخال تركيا في ظروف جديدة يمكن
منها القضاء عليها وليس اظهر امام اعيننا في المشاهدات المحسوسة من المسألة
الكرمية فهي درس عبرة وعظة للاتراك .

ترجع اسباب هزيمة العثمانيين في تساليا الى سوء ادارة التبعة . ولقد صرفت
الدولة (في صدارة احمد مختار باشا اسما وكامل باشا فعلا) اعتمادا على تأكيدات
اوروبالها بان الحرب لاتقع ابدا مائة وخمسين الف جندي من الاحتياط كانت على
حدود الرومللي . عندما بدأت اخبار الاتحاد البلقاني تذيب طلبت الحكومة التركية
من الدول الأوروبية النصيحة (!!!) وفي شهر اغسطس قدم بعض اسدقاء تركيا
المخلصين الى الحكومة تقريرا وافيا عما يدور في الخفاء من الاستعدادات الحربية
العظيمة لاستعداد الدخول معها في حرب طاحنة ونصح الدولة بالاستعداد الكامل
لهذه الحرب حتى لا يؤخذون من وراء ظهورهم على غرة كما اخذوا من قبل
في الحرب الطرابلسية . ولكن الحكومة تركت هذه النصيحة وراء ظهرها واخذت
بقول وتاكيدات الدول لها ولكنها غدرت مرة اخرى بسبب السياسة الأوروبية .
وقد كانت دول الاتفاق الثلاثي اكثرا الدول تأكيدا للدولة العلية باستحالة وقوع
الحرب ولا سيما سفير روسيا في الاستانة فانه كان اشد السفراء تأكيدا بهذه الاستحالة
ولاشك ان تأكيدات هذه لم تكن من تلقاء نفسه بل موحى بها اليه من دولته .

وقد كتب عليم بالسياسة الأوروبية وخير بما يجري وراء الستار من
التجهيزات الحربية البلقانية التي كانت تحت رعاية روسيا مباشرة وبقية دول
التحالف الثلاثي الى احد اسدقائه الخميمين ما ياتي — اتى الآن العبد مضطرا —
في الاستانة دورا تكرهه نفسي فانا بحكم وظيفتي اقول للاتراك خلاف ما علمه
من الحقائق انبأته فانا الان كالخيل الرقطاء بين العشب . فتركيا رغما من نصيحة
ذلك الصديق الخالص ارخت لنفسها العنان في الاعتماد على قول سياسة اوروبا
ولم تجزم نفسها للدخول في غمرات هذه الحرب الطاحنة التي قضت عليها نهائيا
من اوروبا . ولقد تبين للحكومة العثمانية (بعد خراب البصرة) قيمة نصيحة
ذلك الصديق الخالص في اواخر شهر سبتمبر سنة ١٩١٢ ولكن كان الوقت
للاستعداد صنيقا جدا . فخيرة الجنود الاسيوية كانت قد ارسلت بالفعل الى اوطانها
ولم يبق من وقت لاسترجاعها ولذلك اخذت الحكومة في جمع كل ما استطع جمعه

من الجنود لتسد ذلك الفراغ الهائل الذي أحدثه تسريح مائة وخمسين ألف جندي. لذلك رأينا الحكومة تأخذين من تأخذهم كثيرا من ليدخلوا السلك العسكري أصالة حتى ان كثيرا ممن ذهبوا كانوا لا يعرفون كيف يطلقون البندقية على الاعداء فهزيمة قرق كليسا ترجع في الحقيقة الى سوء التعبئة والى وجود العنصر المسيحي في الجيش وكذلك الحال في هزيمة لولو برغاس يرجع بهذه العوامل التي قضت على قوة تركيا قضاء مبرما. ومن الحزن ان يلاحظ الانسان فرار جميع الجنود الغير الاسلاميه من الجيش العثماني الا الارمن فانهم الوحيدون الذين ادوا واجبهم الوطني باخلاص. فهذه العناصر الغير الاسلاميه كانت في الحقيقة رزوا ثقيلًا على كاهل الجيش وعقبة كؤودا في طريق فوزه وانتصاره

فهذه الاعتبارات تقف بنا عند نتيجة جليلة ظاهرة وهي ان الجندي المسلم التركي لا يسأل عن هذه الهزائم قطعا فهو يرى منها. وجميع الذين شاهدوا باعينهم موقعة لولوبرغاس متحذون في الرأي على ان الجندي المسلم قام بواجبه في هذه المعركة خير قيام رغما عما كان يتأطل فرق رأسه من المدمرات المهلكات بسبب اجهال الادارة العثمانية.

بعد ما حصل انتقال الوزارة الاخير في شهر يوليو الفاربو بسبب الكراهية الشديدة التي كانت بين ناظم باشا ومحمود شوكت باشا غير الاول معالم الادارة في قلم المؤن والمهمات الحربية وقلم التحشيدات اذ انتزع من هذين القلمين الضباط الجديرين الذين كانوا فيهما ووضع بدلهم ممن لا خبرة لهم بشئون هذين القلمين فارتبكت الاعمال واختلط بعضها ببعض فسادت الفوضى في الجيش وتحمل من جراء هذا التغيير اشد ما قاساه من انواع الصعوبات والآلام المحزنة فلهذا السبب يرجع عدم نظام الجيش العثماني وتقهقره هذا التقهقر الشنيع الذي كان نتيجة طبيعية لتلك المقدمات السيئة التي بدرت آثارها في نفس نظارة الحربية بالاستانة ومن العليبي الذي لا شك فيه ان ينهزم جيش في اشد الحاجة للاخبر والرئاسة الصالحة امام جيش كامل العدد والعدد. لقد كانت الادارة العثمانية في الجيش كثيرة الحلل لدرجة لم يسمع بها من قبل مثالا في ارسال الذخيرة مدافع (كروب) ومدافع (كروسوت) حصل تبدل فتتج ان المدفعية العثمانية لم تتمكن من تأدية ما كان ينتظر منها فلما ان تلاقى الرؤساء في نظارة الحربية بعض الغلطات قامت المدفعية العثمانية باحسن ما يمكن ان تقوم به مدفعية أى دولة اخرى. ولعل

حضر آتكم لم تنسوا ما الحقته المدفعية العثمانية بالبلغانيين من الخسائر في شتالجة يوم ١٦ - ١٨ نوفمبر الماضي حيث كان يشرف على الموقعة ضابطان المانيان احدهما الماجور ليمان والآخر الكونت يريسبخ. وقد قال هذا الضابطان بان الجيش العثماني لم ينقصه شيء ابدا من الذخائر او المؤن ولكن الطريقة السيئة التي اتبعها البعض في توزيعها كانت هي السبب في هذا السقوط اما فيما يختص بخلق وسلوك المسلم فجميع الاوربيين الذين شاهدوا هذه الحرب مجمعون على امتداحه والثناء عليه فهو خال من الغاظة والفظاظة بل حسن الخلق ولطيف المعاشرة وفوق ذلك تحتل غير وحمية ومتمسك شديد التمسك بدينه.

يقول البارون (تيسكا) المراسل الخصوصي لجريدة اللوكال انزيجر الالمانية « ان موقف الاتراك فريد في بابه جدا وسجدير ان يتخذوه الغير قدوة ومثلا » وكتب المسيو (جان رود) لجريدة الطان بباريس « يمكن القول بانه لا يوجد في العالم بأسره جيش يمكنه في امثال تلك المواقف الخطيرة الهائلة والظروف السيئة المحيطة به ان يكون سريع الفهم مطيعا ضابطا لنفسه محتدلا في تصرفاته كالجيش العثماني. فالجند العثمانيون جديرون بالثناء والوفير وخلقون بان يتخذوا نموذجا للنسج على منواله »

فهذا هو نموذج رأى الصحافيين الاوربيين المجمعون على احقية الجند العثماني لما كان له في السابق من القاب العظيمة والفخار.

واني لم اجد في الصحف من يقدر حقيقة اخلاق الجيوش المتحدة الا في عدد يوم ١٤ يناير الماضي من جريدة الاكيز البارسية اذ تقول « لقد حدث حادث لم يسبق له نظير ابدا في تاريخ الحروب ذلك ان مكانا محصورا يدافع عنه ابطال به اكثر من ثمانين الف ملكي من الاهالي لا يشتركون في العداء الواقع يتركون من غير شراب ولا طعام حتى اتى القحط على اكثرهم فكانوا يتسا قطون موقى كالدباب. عقدت الهدنة ولكن المندوبون والسفراء الذين يتمتعون بكامل الراحة وياكلون جيد الطعام ويالبسون انهم المنسوجات وينامون على الفراش الوثير يرفضون لدخال لقمة واحدة للمدينة المحصورة او بمباراة اخرى لاولئك الذين يموتون من الجوع وتحبى عليهم انسانية القرن العشرين او المدنية المسيحية!! ولكن هؤلاء المنعمون يرضون بمرور العربات الكثيرة المشحونة بالمال كل على المدينة تحت ظلال مدافعها وسيفونها الى العدو المحاصر. يرضون بمنع دخول المؤن والذخائر. يرضون

بان يموت الرجال والشيوخ والصبيان والنساء جوعاً وبرداً . يرضون بان تنفشي الامراض السارية بين سكان المدينة قهلك الحرث والنسل يرضون بكل شيء ضار ولكن لا يرضون بدخول كسرة خبز واحدة . يرضون بكل شيء ويرضون ان تصل بالمحصورين القحة فيجعلوا اسم المسيح مضغة السفاحة في الافواه ولكنهم لا يرضون باطعام جائع

هذه هي المدينة الراقية . المدينة الاوروبية الحديثة او بعبارة اخرى هي مدينة المسيحيين في القرن العشرين

تركيا والاصلاحات

الامر الذي اريد اثباته قبل كل شيء هو ان تركيا منذ انقلاب سنة ١٩٠٨ اخذت تمشي في طريق كان لابد من كونه موصلها الى اكبر الاصلاحات واقيدها لولا وجود اوربا تلك التي كانت في الحقيقة تنظر للنظام الدستوري الحديث بعين السخط والكراهية رغماً ما كانت تبديه في الظاهر من الرضاء والاستحسان . ان اوربا ما كانت لتقف مكتوفة الايدي بان هذا الانقلاب لولا ما كان يحول بخاطرهما من انتظار الفرصة السانحة لخلق المشاكل وايجاد العراقيل والعقبات في طريق نجاح الحكومة الجديدة .

لا شك في ان اوربا — والولايات البلقانية في طليعتها — قد قابلت المساعي التي كانت تبذلها تركيا في سبيل تثبيت دعائمها وتوطيد مركزها بكل سخوية واستخفاف وعدم ثقة بالمرء . ولم ذلك يا ترى ؟ لان تركيا القوية الثابتة الدعائم لا تجعل فيها للمطامع الاشعية مجالاً فقوتها وثبات كيانها سيدمان من الاغراض الاوروبية ما ظهر وما بطن وفي هذا عقود كبير لا ترضاه اوربا لنفسها ان اوربا او الحكومات البلقانية لم يتفق لها يوماً ما ان نظرت بعين الرضى لتقدم تركيا وسعادتها وما كانت مطالبهم بالاصلاح لغير اتخاذه ذريعة للتدخل في شؤون الامبراطورية الداخلية فلتنظر الان بدقة لفحص حقيقة هذا الطلب المقدم واعني به مطلب الاصلاح الذي هو اساس هذه الحرب الطاحنة: نلقى بيسر ناعلى تركيا بعد انقلاب عام ١٩٠٨ فترى جميع رجال سياستها على اختلاف مشاربهم مجمعون على ان لبقاء لتركيا بغير ادخال الاصلاحات الكثيرة اللازمة ولم يكن الخلاف بينهم الا في طريق تنفيذ هذا الاصلاح ومن ههنا انشأ انقسامهم المقوت ذلك الانقسام الذي

كان سبباً عظيماً من اسباب هذه المصيبة المدلهمة . ولكن رغماً عن هذه الانشقاقات السياسية فان تركيا قد خطت خطوات لا بأس بها في سبيل الاصلاح الذي كانت تتطلع اليه من اعماق صدرها لعلمها ان السير على الطريق الاستبدادي القديم لابد ان يؤدي بالمملكة الى هاوية الخراب لقد كان حقاً على القائمين بامر الاحزاب المختلفة في داخل المملكة اذ رأوا الاخطار الخارجية تهدد مملكتهم ان يقفوا باختلافاتهم ومنازعاتهم عند حد معقول وان يتحدوا جميعاً ايداً واحدة ويكونوا كالبنان المرصوص يشد بمضه بعضا فيقاوموا الطوارئ الخارجية ودسائس السياسة الاجنبية التي اخذتهم من كل جانب . كان حقاً عليهم ذلك ولكنهم ياللائف لم يتركوا الانشقاقات الحزبية جانبا بل رأيناهم منذ الخمس السنوات الاخيرة يتناطحون ويتدبرون حتى اطعموا الغير في جانبهم فكان ذلك ركناً عظيماً من اركان ضعفهم الحاضر . وفي كتابي الذي ساضعه قريباً ساين للناس حقيقة الاختلافات الداخلية وسابرهن لكم جميعاً كيف كانت للدول العظمى اليد الكبرى في هذه الاختلافات الحزبية وكيف انها اتخذتها سلماً للوصول الى غاياتها السياسية واطماعها الشخصية

والامر الذي لا زال مصرع عليه حتى الساعة هو انه رغماً عن كل هذه الاختلافات الحزبية داخل المملكة العثمانية فقد امكن ذوى الشأن منها القيام باعمال جليلة سواء في الادارة او الحقانية وهما كما تعلمون اساس نظام المملكة العام . لقد نشر مجلس المبعوثين العثماني محضر جلسات مدته الاولى واطلعت عليه واني لا اكنتمكم ان مقام به المجلس من الاعمال الجليلة في مجرمدته القصيرة لا يقل اصلاً عما يقوم به اضرابه من احسن المجالس النيابية واعرقها في الحرية . وان المجالس النيابية الاوروبية لتعجز عن القيام باحسن مما قام به رجال تركيا الفتاة من الاعمال المفيدة النافعة وسط الصعوبات الداخلية والخارجية التي كانت تحيط بهم من كل جانب: لقد شرعوا في اعداد نظام اداري يكفل حاجة البلاد وكذلك نظروا في اصلاح القضاء وتنظيمه وبدأوا يمدون الطرق الحديدية وينشئون الطرق العمومية وغير ذلك مما تحتاجه البلاد ولكن لم يكن لدى المملكة الاموال الكافية لانهاء هذه المشاريع بالسرعة التي تتطلبها .

كيف نأخذ على تركيا عدم قيامها بجميع ما تحتاجه الامة من ضروريات

الحياة وضروب الإصلاح في ظرف اربع سنوات وهى مدة الحكم النيابى مع اننا نعلم مبلغ حاجتها المالية الشديدة وكثرة ما يعترض طريقها الى الإصلاح من العقبات التى لا بد لها من التغلب عليها ؟ ان من اصعب واشق الاعمال القيام باصلاح بلاد كالبلاد العثمانية تكثر فيها العناصر المختلفة التى لا يتفق بعضها مع البعض وادى رجل سياسى قدير حنكته التجارب يستطيع التغلب على حالة البلاد العثمانية الراهنة من غير ان تمده بالمال الوفير ؟ لم يكن الاصلاح فى الامبراطورية العثمانية متوقفا فى يوم من الايام على وجود الرجال الكفاء لان هؤلاء كثيرون ولكن الذى كان يؤخر اتمامه من يوم لا آخره هو حاجة البلاد الى المال الوفير الذى تباشر به هذا الاصلاح .

ان اوروبا التى تظاهرت لتركيا كثيرا بحب المساعدة لم تقم فى يوم من الايام بمساعدتها (فعليا) فى تنظيم شؤونها المادية : فادى دليل تقيمه اوروبا على عجز العثمانيين عن تنظيم شؤونهم مادامت لا تقدمهم بما يحتاجونه من المال لتنظيم هذه الشؤون ؟ ان القروض التى عقدتها تركيا لم تكن فى نفسها كافية لأمس الضرورات الحيوية الواجبة وكثيرا ما كان يقول الوزير الاسبق حلمى باشا للحكومات الاروبية انها اذا كانت حقيقة رغبة عن نية صادقة فى اجراء الاصلاحات اللازمة فعليها قبل كل شئ ان تنظم الميزانية العثمانية وتجعلها مستعدة للانفاق بسخاء على المشاريع اللازمة لحياة البلاد حياة طيبة . ان حلمى باشا ورغبته فى ان يرى البلاد بخير لا يشك فيها . كرر على مسامع السفراء كثيرا ان الحل الوحيد للمشكلة المالية هو ان تزداد موارد الميزانية العثمانية وهذا لا يكون فى الوقت الحاضر الا بزيادة العوائد الجمركية فتصبح خمسة عشر فى المائة بدلا من احدى عشر . ولكن اقواله ذهبت ادراج الرياح ولم يستمع له احد . ذهبت كل هذه الجهودات ولم تجد نفعا ومرجع ذلك الى نية اوروبا السيئة التى لا تريد الانقلاع عن اتخاذ السبل الغير الشرعية فى افادة رعاياها من جثمان الدولة العلية . وهؤلاء الرعايا الاجانب بما ساعدتهم به حكوماتهم وبما اكتسبوه من تفرق الاتراك انفسهم وتدابره قد امكنهم السيطرة على الامور المالية فى بلاد الدولة فقبضوا عليها بيد من حديد . اغتنى هؤلاء من جسم الدولة العلية ولكنهم لا يرجعون عن بغضها ومقتها الشديدين . ليقل لى احدكم اى يوم اوسعت فيه اوروبا النطاق للاتراك كيما يتسنى لهم مباشرة اعمالهم الاقتصادية بانفسهم ؟ ان اوروبا لم تشأ

منح هذه الحرية لتركيا رغم كل وعودها الكاذبة فكيف اذن ينتظر احدنا من تركيا القيام بالاصلاح الكامل فى الادارة او القضاء مع ان مشكلة الاصلاح مشكلة مالية قبل كل شئ ؟

ومع ذلك فرغما من كل هذا ورغما عن الفاقة الشديدة التى كانت فيها تركيا فقد تم كثير من الاصلاحات فمنذ بدأ العهد الدستورى كان يصرف كل عام ملايين الجنيهات الكثيرة لاصلاح المحاكم وقد ارسلت الحكومة بصنع مئات من الطلبة لجامعات اوروبا المختلفة لتلقى اصول القضاء الحديث . ولكن هل تعلمون ايها السادة كم قاضيا تحتاجه تركيا ؟ ان بالامبراطورية العثمانية اكثر من الف وستائة محكمة اهلية (وهذا عدا المحاكم الشرعية التى يحكم فيها رجال شرعيون) فيلزم لهذه المحاكم من القضاة الحديثين اكثر من ستة آلاف قاض وللحصول على هؤلاء يحتاج لزمان طويل ومال وفير

ولكن قبل كل شئ (قبل المال والرجال) فتركيا للقيام بما يطلب منها من الاصلاحات فى حاجة كبرى لحسن طوية اوروبا والامم المجاورة لها . فهل حدث ذلك يوما من الايام ؟ ان سوء نية اوروبا وخبث طويتها لتجلى للعيان فى هذه الايام الحاضرة فهل منكم من ينكر ذلك ؟ ان بلغاريا وحليفاتها خفن ان يرين الدولة العلية دولة قوية فيمقتضى على امالهن واعمالهن الثورية التى تصبح بعد القيام بالاصلاحات اللازمة من غير موجب او مقتضى فلا يجدن لانفسهن مبررا او سبيلا للقيام والقال .

لم يكن غرض بلغاريا وغيرها من تجهيز العصابات البلغارىة والصربية واليونانية وتسيرها الى مقدونيا وتساليا الا لخرق الاخلال بالامن العام وعدم تمكين الحكومة المحلية (الحكومة العثمانية) من توطيد السكينة فى البلاد حتى يكون ذلك ذريعة الى انتزاع هذه البلاد من ايدى الاتراك وعدم بقائها تحت حكمهم . لقد انتهزت دول البلقان المتحدة فرصة قيام الثورة الابانية الاخيرة التى راوا فيها الفرصة التى ينشدونها لتحقيق اطماعهم الاشعية واملمهم فى القضاء على ملك آل عثمان من مقدونيا . ولذلك كانوا فى حاجة لخدمة يتذرعون بها للدخول فى ميدانهم هذا فاعوزوا لرجال عصاباتهم المنبئة فى مقدونيا وتساليا بالبدء فى ارتكاب الجرائم وقتل الابرياء وسلب الاموال

تلك الجرائم التى كانت على الدوام تقع مسئوليتها على طاقى التركى

البرئ من تلك الوحشية المطلقة . يقصد البلغار يون من ذلك اظهار حاكم البلاد في ثوب الظلم والعسف ولكن مندوبو الدول الاجنبية الذين اشتغلوا مع حلمي باشا في مقدونيا . قبل الدستور العثماني يمكنهم القول لحضراتكم بان جرائم المصابات البلغارية والصربية واليونانية كانت على الدوام تفسد ما يعمله الاتراك من اصلاح الذي كان عن نية سليمة ورغبة حقيقية فيه . ولم تكن تلك المصابات لتقف في جرائمها عند حدلانها نشأت في حجر الفوضى واشربت حب الاخلال بالأمن العام وتكدير صفوه على ايدي موجدتها اولئك الذين قاموا قبل اليوم في وجه الاتراك بدعوى الدفاع عن المسيحية والانسانية . فاحفادهم اليوم كذلك يقومون باسم المسيحية والانسانية ويرتكبون الكبائر ضد المسلمين لأنهم مسلمون !!!

فجرائد العالم اجمع طافحة بتفاصيل المذابح البشرية في مقدونيا وجميع الحكومات الاوروبية تعلم من تقارير وكلائها (قناصلها) حقيقة ما يجري من الفظائع التي تقشعر لهولها الابدان و العالم كله ينظر لهذه المنكرات بالدهشة والاستغراب ومع ذلك فذو الشأن في الحكومات لا يحركون ساكنا . ولماذا ؟ ذلك لان مجرمي الصرب والبلغار واليونان يرتكبون ما يرتكبون باسم المسيحية !!! فهل رايتم ايها السادة تمصبا اشد من هذا ؟؟ الحقيقة ان هذه الفظائع والجرائم ما كانت لتقع البتة لولا انها ضد امة اسلامية فهل هذا هو مبلغ نصفه اوروبا التي تدعيها ؟ ام هي الانسانية الاوروبية الحقيقية ؟؟؟

الروحانية في الاسلام

جاءتنا الرسالة الآتية من احد الافاضل الكبار الفيرة على الدولة والاسلام نشرها بنصها قال

جاء الدين الاسلامي (على مبلغه السلام) باعلى درجات المدنية وأرقى سنن الحضارة ، ومن مهمات احكامه رفع التفاضل بين افراد المسلمين والمساواة بين الحاكم والمحكوم ، والسيد والمسود ، انظر الى كتاب الله تجد فيه : ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، وفدش الاحاديث النبوية تجدها مصرحة بذلك احلي تصريح قال عليه السلام : كلكم من آدم وآدم من تراب وقال : لافضل لمرابي على عجمي الى غير ذلك من الاحاديث الناطقة بوجوب رفع التمايز والتفاضل بين طبقات المسلمين ، واذا طالعت تاريخ السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين الذين اقتدوا بالنبي عليه السلام فانك لا تجد فرقا بينهم وبين سائر افراد المسلمين ، تجد سيد الخلالق رسول الله صلى الله عليه وآله يجلس فيهم كاحدهم ، يعطف على صغيرهم ، ويحنو على كبيرهم ، متواضعا لهم ، ممتثلا قول الله عز وجل تاملوا لنبئيه : واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، ويفض عليهم من مكارم اخلاقه التي وصف الله بقوله : وانك لعلى خلق عظيم : وتجد خليفة المسلمين رجلا منهم له مالههم ، وعليه ما عليهم ، بل كان يفضل افراد المسلمين على نفسه تواضعا لهم واقتداءً بالأنبياء صلى الله عليه وآله ، فان عمر كان يركب الجند الخيل العتاق ، ويركب هو الحمار ، وكان المسلمون يلبسون الرقيق ويلبس هو الخشن من الثياب ، ويأكلون الطيب من الطعام ويأكل الخشب وكذلك كان على يلبس المرقع من الثياب حتى قال يوما على منبر الكوفة : لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها . ويأكل الخشب من خبز الشعير غير المنخل بجريش الملح ، ليواسي افقر المسلمين في ذلك ، وكان كثيرا ما يقول : أققع من نفسي ان يقال امير المؤمنين ولا اشاركم في جشوبة المأكول وخشونة العيش ، وطالما يمثل بقول القائل :

وحسبك داء ان تبئت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القدر
وكان يطعن بمعاوية حيث كان مبطانا منه وما يتخذ لذيذ المأكول وطيبه فيقول له : اتخذتها (الامارة) ما كسروا وسنة هرقلية يعني ان هذه لاعمال لا توافق الدين الاسلامي الذي لا يبيح للانسان ان يفضل سائر افراد المسلمين ولو كان اميرا .
اعتاد المسلمون ذلك وعرفوه من سنة شريعتهم الغراء ، ولذلك نقوموا على

عثمان ايثاره بعض المسلمين بالاموال دون بعض حتى اعطى اربعة من قریش اربعمائة الف دينار وخص مروان بالف الف دينار بعد فتح افريقية ، وتفضيله اقاربه بالامرة والاساطان على المسلمين حتى خالف قول عمره : اذا وليت هذا الامر (الخلافة) فلا تسلط ابن ابى معيط على رقاب الناس ، وحايته الحى لنفسه مع ان المسلمين شرع سواء في الماء والكلاء .

هذه كانت سجية المسلمين ، وتلك اعمال الخلفاء الراشدين امتثالا لاوامر الشرع الشريف و اقتداء بالنبي الامين ، وكانوا هم الروحانيين لان معالم الدين انما كانت تؤخذ منهم ، ولم يكن للروحانية عنوان في الشرع نعم ربما كانوا ينصبون القضاة في صدر الاسلام ولم يكن ذلك لروحانيتهم ، بل كانوا يعينون الخليفة او الوالى في هذه الازمان ، وانما كانوا يضطرون الى نصبهم مع انهم علمون بما في الشريعة الاسلامية من الاحكام وهم حماة الذين ينشرونها بين المسلمين لان الخليفة او الوالى كان عمدة ما يهيمه الاشتغال في تنظيم امور الجند ، والجد بالجهاد والغزو والفتح فلا يسهه حسم الخصومات التي تحدث بين المسلمين ، ولذلك كان يضطر الى نصب قاض ينظر في ذلك ، هذه كانت حال المسلمين في صدر الاسلام اما اليوم فانا نرى في المسلمين انا سايعدون الرياسة على المسلمين والزعامة في الدين ، ولا عمل لهم ببر ، ولا سعى يشكر ، ترى الرجل منهم جالسا على السجادة الرفيعة او القادرية او متقلدا منصب الاجتهاد يفتى في المسلمين وهو اجهل الناس ، مرتديا برداء الفخر ، متجلجلا جلباب الكبرياء ، لا يحب الانسان مهما كان الا عبدا من عبيده الذين ملكتهم يمينه ، والناس يقرونه على ذلك جهلا منهم بحقيقة الدين الاسلامى ، فترام مدليا كفيه لتثمتها افواه البسطاء ويتبركوا بهما ، والناس منهمكون يزدحجون على تقيلهما ازحام الكلاب على لحوم الجيف ، وربما استلم بعضهم عضادة باب دار ذلك الروحاني العاجز الذي جعلوه واسطة بينهم وبين الله سبحانه ، واذا شاهده احدهم خضع له خضوع الوثنيين الى اوثانهم وادلى برأسه حتى يقارب الارض تمظيا لذلك الانسان الجاهل .

ضل اولئك الجهال ونسوا قول الله في محكم كتابه المجيد : ولا تأخذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله ، ولا معنى لاتخاذ الانسان ربا الاتمظيه هذا التعميم الذي لا يلبق الا بالارباب ولا يوافق اصول الشريعة الاسلامية التي تنفي التفاضل بين الناس مهما كانوا ، تلك بدعة النصارى التي جروا عليها مع رهبانهم وقسوسهم حكاها

الله عنهم في كتابه العزيز ليحذر المسلمين من الاتيان بمثلها ويهديهم الى سبيل الرشاد ، قال سبحانه : اتخذوا (النصارى) احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، وذلك لانهم عظموهم تعظيم الارباب فحكم عليهم بانهم اتخذوهم اربابا ؛ والا فلا يرى النصارى ربوبية احبارهم ورهبانهم .

وما يفضى الى العجب هو ان النصارى الذين كانوا يعظمون احبارهم كشركاء الله عدلوا عن تلك الطريقة المشومة ، واخرجهم نور العلم من ظلمة العبودية للاحبار والرهبان ، فهم لا يعطونهم اليوم تلك المنزلة التي كانت لهم قبل ، ولا يحسبونهم الا كغيرهم من الناس ان لم يكونوا ادنى مع ان دينهم الذي تلقوه من اولئك القسوس والرهبان يأمرهم بخلاف ذلك ، لكنهم عرفوا يقينا كذب ما كانت توحيه اليهم زوايا الاديرة وصوامع الكنائس ، وان اولئك القسيسين لقوا تلك المفتريات ليستدروا بها اموال الناس . والمسلمون الذين يعتقدون بان دينهم ينهى عن تلك الاعمال الرديئة بل يمدحها شركا بالله كما نطق به الكتاب المبين - يأتون بتلك المنكرات غير مباليين بمخالفتها للشريعة الاسلامية ، يخيل لهم جهلهم انهم يدخلون بذلك الجنة ، ويشوقهم اولئك المضلون الى مثل تلك الاعمال لتشقى لهم امور المعاش ، وان انتصت عليهم امور المعاد فهم لا يبالون ، كأن لسان حالهم ينشد : وما عاقل باع الوجود بدين . الروحانيون اولى الناس بالنهى عن تلك الاعمال الشرية ، لانهم حملة تلك الاحكام الاسلامية التي تنهى عنها على ما يزعمون ، وهم الذين يلزمهم هداية من ضل من جهال المسلمين لانهم ورثة علم النبي والخلفاء على ما يدعون ، فما بالهم اقروا الجهال على تلك الاعمال المنكرة المخالفة لاهكام الشريعة الاسلامية؟ هل كان ذلك الاحفاظة على امور معاشهم الحسيس وامثال ذلك بتلك الرياسة الوهمية ، والزعامة الخيالية في هذه الدنيا الدنية .

وليت اولئك الروحانيين اقمهم فعل الهمج الرهاق وتعظيمهم اياهم ، ولم يختصوا انفسهم بالقاب الجلال والكبرياء بدعة الكافرين التي نهى الله عنها عباده المؤمنين ، ولم يرضوا لاحدان يخاطبهم باسمائهم مجردة عن تلك الانباز الضخمة ، فاذا سميت احدهم باسمه وجدته متمردا عبوسا يدر الغضب من بين عينيه ، وهبات ان يرضى عنك حتى تستلم يديه وتسميه نقيب الاشراف او پوست نيسين الدرهم القادرية (شيخ سجادة الزاوية لقادرية) او آية الله العظمى او حجة الاسلام او غيرها من الالفاظ الضخمة التي وضعا لروحانيون لانفسهم مخافة لاوامر لشريعة لمحمدية .

جمع أولئك الروحانيون بين الاضداد فانهم مع ما انصفوا به من شدة المعجب وفطر الكبرياء شاركوا المجانين في البلبه ، فان الرياسة الدينية منوطة به عند العامة ، وكلما ازدادت بلاهة الروحاني ازداد وثوق الناس به ، ومن كان عنده نصيب من الفعل فلا نصيب له من وثوق الناس ، لذلك اضطر أولئك المرءون الى اظهار ما يشبه الجنون من البلبه ليزيد بهم وثوق الناس فيحبوهم بالاموال الطائلة ويلقوا اليهم مقاليد الرياسة الدينية . أشاهد في الجهال (وهم في العراق كثيرون) من يتلذذون بذكر مناقب الروحانيين ومكرماتهم عادين من اكبرها ، ان رجلا منهم اهديت اليه تفاحة في غير اوان التفاح فاكلها بمحض المهدى ولامه تلاميذه على ذلك وافهموه ان مثل هذه الهدايا لا تؤكل بل يحافظ عليها للشم والتفرج ، فبقى ذلك مرتكزا في ذهن ذلك الروحاني الابله الى ان حضر على مائدة لبعض المثزين فقدم اليه ذلك المثري دجاجة مطبوخة يتصاعد منها البخار لحرارتها على رغيف خبز ، فاخذها ذلك الروحاني والمرق الحار يتقاطر منها فوضعهما تحت ابطه بين ثوبه وجلده فصار المرق يتقاطر على جلده ويلذعه لحرارته وبقي معذبا يقاسى حرارة ذلك المرق وهو يقول ! لاحول ولا قوة الا بالله ، ما انا والمولوك ، وما انا والهدايا حتى بردت الدجاجة ، ولما فارق المجلس لاه تلاميذه على هذا الفعل فصرخ بهم قائلا : لقد خيرتموني . ما اصنع ، احافظ على الهدايا فتلوموني على محافظتها ، وأأكلها فتلوموني على أكلها ، ولولا اتم لما قاسيت ذلك المذاب الاليم من حرارة تلك الدجاجة . هذا مثال مما يرتكبه الروحانيون البلبه من اظهار البلبه ليخدعوا به البسطاء ويغروهم ، والذي يزيد رغبتهم في هذا الجنون تلذذ العامة بنقله وحسبانه من اكبر المميزات قائلاين : هكذا اولياء الله ؛ لاشك ان هذا من اكبر الروحانيين لانه اشد هم بلاهة ، فلا تستغرب صدور امثال هذه الافعال منهم لالباهم بل تباليهاهم لجلب الناس اليهم والمحافظة على رياستهم .

جعل الله (سبحانه) النبي على اكل ما يكون عليه الانسان من العقل ، واعطاه الحكمة وفصل الخطاب ، وزهيه عن كل نقص حق عن السهو والنسيان ، كل ذلك اهتماما بالاحكام ومحافظة على تبليغها . وهذه الاحكام التي حافظ الله سبحانه عليها تلك المحافظة اضاعها الجهال بتسليمها الى من رأوه انقص الناس عقلا واشدهم بلاهة ، فجعلوه رئيسا في الدين ، ومبلغا احكام سيد المرسلين ، ولم يباؤا بان من لا يميز بين التفاحة والدجاجة كيف يؤتمن على احكام الشريعة .

اضطرت العامة اولئك الروحانيين فباعوهم عقولهم بتلك الرياسة الموهومة والاموال التي يتسامونها من الناس لكن لم تسخ لهم تلك اللقمة الدسمة ، بل ترددت في حناجرهم ، وديقت بالذعاف المعقر ، لانهم لم يتركوهم يتلذذون بتلك الاموال بتلطيف الاكل والشرب والللبس بل اشترطوا عليهم ازياء قذرة منفورة : ان يكون الروحاني كبير العمامة المكتنفة بالاوساخ حتى تسود فان لم تكن كثيرة الاوساخ فلا بد ان تلوث بالتراب ، مصفر الوجه يعلوه الغبار ، اعمش العينين تذرف من مآقيهما الدموع ، متشكى الاحية يجرى من بينها العرق الاسود ، رث الاطمار والياب الخملقة ، تحيف الجسد ، قالوا : هذا هو الزهد ولم يعلموا ان ذلك هو القذارة التي نهى عنها في الشرع ، ليتدبروا زمت النبي والخلفاء وصفتهم يحدوهم في غاية النظافة والائق وانهم لم ينالوا في الاطمار ولم يخذروها من الاوساخ ، ولم يهبوا للقذارة لحومهم وللنحف والاصفرار ابدانهم ووجوههم ، بل كانوا اقوياء اشداء في غاية الشجاعة ونهاية الجراءة ، شديدي البطش في الحروب ، عظيمي المراس في المعارك ، حكماء علماء ، غير طائشي العقول ، مغلولي الايدي كهؤلاء الروحانيين المجانين القذرين الذين طاشوا في الدنيا عيشة الفقراء ، وهم يحاسبون في الآخرة حساب الاغنياء لانهم جمعوا اموال المسلمين ولم يصرفوها في سبيل الله فبقى عليهم وزرها ولم يستطيعوا ان يتنعموا بها في الدنيا اذ لا يسلمهم ان ياكلوا بها هنيئا طيبا ويشربوا صافيا سائغا غير محتجين عن الناس محتجين عن اعين النظار ولا يمكنهم ان يلبسوا جيد اللباس المزده عن القذارة لوجوب تزيينهم باقذر الازياء وتحريمهم زينة الله غير مباليين بقوله : قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده فكانوا كفى اسرائيل حيث حرموا على انفسهم ما كان حلالا في شريعتهم كان الشريعة الاسلامية قد حظرت على معنقها وخصوصا الروحانيين ان يتجلبوا بتلك الازياء المنفورة سبحانه اللهم ان هذا الاختلاق في الدين ، وافتراء على الشرع الشريف الذي اياح للناس جميع اصناف اللباس وضروب الازياء .

يمثل هذه الاعمال المبينة لنصوص الشريعة الاسلامية يمكن الروحانيون من مشاركة الناس في اموالهم ، واختلاسها نهارا باسم الدين فانك لا تجد ميتا يعوت حتى ينقل تلك ما يملك الى احد الروحانيين من غير ان يعطال بصرفه اوان ينظر في موارد بذله لان الروحاني مامون في ذلك بمد ان كان ابله قدرا فلا يتطرق اليه احتمال التفريط ؛ والتساهل في صرف تلك الاموال

في سبيل الله وسد عوز المسلمين ، ويزلف الميت في دار النعيم بمجرد وصولها اليه ، ولذلك نجد الروحاني متظاهرا بكل ما يلزم الروحانية من البلاهة والقذارة التي يسمونها زهدا مبطنا للخداع والغرور والنزور ، ولا يبالي بعد ذلك اذا كان جاهلا لا يعلم شيئا من اسرار الشريعة الاسلامية ، ولا يتقبل حكما من احكامها ، فاذا سئلته وهو لا يعلم شيئا عما يعلم عرض ونأى بجانبه واذا اهمه التخلص منك ان انت طالبت بالجواب سارع الى الحكم بتكفيرك وقال ان هذه المسئلة مخالفة للشريعة لا يسئل عنها الاكافر ويتخلص بذلك عن كل سؤال يردده ، هذه صفة اولئك الجهال الذين سموا انفسهم الروحانيين وازياؤهم .

اما اعمالهم فكان الواجب عليهم ان يجدوا بتحصيل العلوم والفنون ، ويقوموا بنشر التعاليم الدينية ، وبث الوصايا الاسلامية بين المسلمين فيهدون الناس الى حقيقة الدين الاسلامي وما يوجبه على كافة معتقيه من الذب عن بيضة الاسلام وحماية حوزة الدين ومقاومة اعمال المبشرين في الممالك الاسلامية واطهار كذبهم وافترائهم على هذه الديانة المنزهة عن شوائب الرب . لكن الروحانيين تركوا كل ذلك وتجلبوا جلباب البطالة ولم يهتمهم درس العلوم الدينية ولا غيرهما بل هم يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع ، كل على الناس يتجولون في المجالس والمنتديات مع البطالين من غير ان ياتوا بعمل مفيد للمسلمين . يكتسب عامة المسلمين ليلهم ونهارهم ويتمتعون انفسهم بتحصيل القوت لهم ، فيغفون اولئك المنتشردون بالراحة دون جدوا اكتساب . ومن هؤلاء ما يربى على عشرين الف نسمة في العراق بين النجف وكربلا والحلة وبنداد والكاظمية والاعظمية وسامراء لاعمل لهم ولا اكتساب وهم يتعيشون بارفه عيش باسم الدين الذي حرم عليهم البطالة ووجب لهم التكسب اثلا يكونوا كالا على الناس . ويا حجب الوفندت الحكومة قانون المنتشردين فاراحت المسلمين من سر اولئك الجهال البطالين الذين جعلوا مال الله بينهم دولة وبخلوا على المسلمين بالارشاد ونشر التعاليم الدينية والدين الاسلامي يوجب على كافة متبعيه الذب عن حرم الاسلام ومحرضهم على مواصلة الجهاد وبذل الاموال والانفس في سبيل اعلاء كلمة الله فلو ان الروحانيين جدوا بنشر هذه الاحكام وحثوا الناس على العمل بها لرايت ما يربى على ثلثائة وخمسين مليوناً من المسلمين يذبون عن شرف الاسلام ولما سقط الاسلام الى هذه الهوة العميقة التي يوشك ان يهلك فيها . ان رجلا واحدا من الروحانيين

اطاع الله وعصى هواه فقام بواجبات الدين ودعا المسلمين الى الجهاد فلباه اناس وطلبوا مرضاة الله ، وصاروا يحامون عن اوطانهم ويوشك ان يحلوا اعداءهم عن بلادهم . فلوان كل الروحانيين كالتنوسى لكانت كل المستعمرات الاروبية كطرابلس ، ولما طمعت اروبا باستعمار باقي الممالك الاسلامية ، ولما تجاسر رعاي الغرب على العبث بالمسلمين ، لكن انى لنا بذلك وهؤلاء الروحانيون لاهيون لا يهتمهم امثال الاوامر الشرعية يقعون من دنياهم بالاكل والشرب شان البهائم العجم .

هذه اروبا قد غارت على الممالك الاسلامية ، وجدت بتلاشة الاسلام ، فن غار من الروحانيين على دينه ووطنه ، وتقدم الناس الى الجهاد وحضهم عليه كما تفعل القسوس والرهبان الذين حملوا الصليبان وتقدموا امام ائمتهم الى الحرب . علماء الشيعة لا يهتمهم الا التلبه والاكتشار من قول : اصل البراءة ، اصل الاستصحاب ، الاصل المثلث الى غير ذلك ، وعلماء السنة لاعمل لهم الا التزه والتفرج والجند بتلطيف الاكل والشرب وقول جاء زيد . مات عمر . الفاعل . المفعول الى غير ذلك ، لكن علماء الشيعة (والحق يقال) اكثر اهتماما بهذا الامر من علماء السنة فانهم حين طرقت سمعهم احتلال ايطاليا لطرابلس واعلانها الحرب فارقوا اوطانهم واجتمعوا في الكاظمية صغيرهم وكبيرهم يحشون الناس على اعانة الدولة بالاموال والانفس حتى نقلت اقوالهم الجرائد ونشروا في ذلك النشرات التي تبين منويات اروبا السيئة ، لكن لم تجع اقوالهم في قلوب المسلمين ، ولم تؤثر نشراتهم في نفوسهم الخالفة بعضهم بعضا في ذلك ورده اقوالهم اقبح رد ، ذلك هو السيد كاظم اليزدى من قاطني النجف فانه وقف لاقوال العلماء بالمرصاد مدافعا عن اروبا مبرا جميع اعمالها مظهر انها لا تريد سوء بالمسلمين . ولقرط جهل المسلمين وميلهم الى الراحة ، والفرار عن بذل الاموال والانفس وتحمل تلك المشاق كانت تروج لديهم مفتريات ذلك الحثيث عدو الدين والوطن ، فلم يعبروا الكلمات العلماء اذا واعية ، ولما شاهد العلماء ذلك رجعوا الى معاقبتهم آتسين من صلاح حال المسلمين ، وبقي ذلك الحثيث يرد عليهم ويصرح بعدم وجوب الدفاع والجهاد على المسلمين والحكومة لم تتعرض له بسوء فلما وافق اميال العامة رجع اليه كثير من الجهال ونالوه طرفا من رداء الرياسة الدينية حتى صار عقبه في سبيل العلماء الى حنظ استقلال المسلمين ،

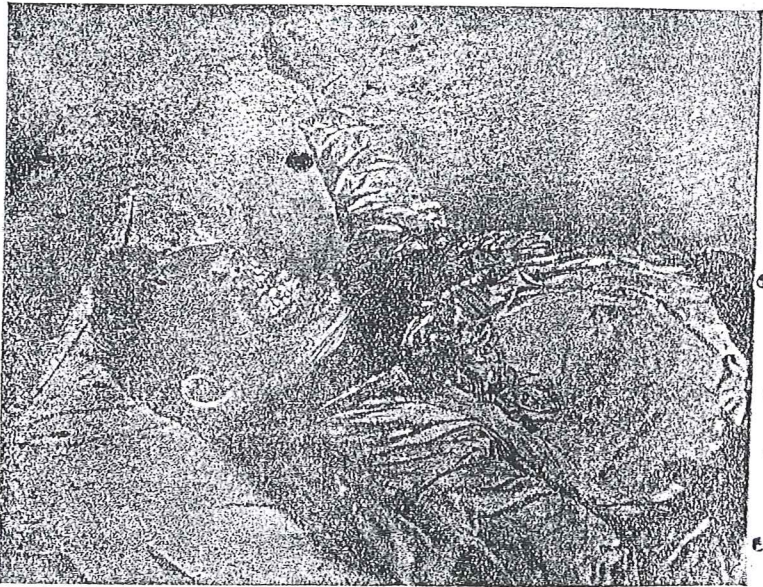
وكان يتمسك على ذلك بحجة "موه بها على العامة" فان فقهاء الشيعة قسموا الجهاد الى قسمين باعتبار الزمان (١) الجهاد في زمان النبي وسموه الجهاد وذكروا له احكاما وشروطا (٣) الجهاد في غير زمن النبي وسموه دفاعا اصطلاحا فقهاء وذكروا له احكاما وشروطا غير الاول وانما فعل الفقهاء ذلك لاشتراط وجوب الجهاد عندهم بشروط كالصحة من المرض والعمى والعرج والذكورة ووجدان ما ينفع واغير ذلك وعدم اشتراط وجوب ذلك في الدفاع فانه يجب على المريض والصحيح والغني والفقير والمرأة ومن والرجل والعبد والحر ، فلذلك قسموه الى قسمين ليدكروا لكل قسم احكامه وشروطه قالوا : فلا يجب الجهاد الا في زمن النبي فموه ذلك الخبير ؟ بهذه العبارة وقال ان الفقهاء صرحوا بعدم وجوب الجهاد في هذه الازمان وبين قول الفقهاء بعد ذلك ويجب الدفاع على كافيته المسلمين مبنى دهمهم عدو . جاهر ذلك الحديث بامثال تلك « قاوبل التي تحذل المسلمين ولم يعارض احدك ذلك عددي الحر الكريم المراقب لاعمال المفلسين جمال بك والى بغداد الاسبق وعزيز بك قائم مقام النجف سابقا ، ولكن معارضة حفيظة فعلماء الشيعة وان كانوا ملومين على سرعته يامهم وقتو طمهم مقصدين في اخلاصهم الى السكون بعد تلك الحركة — قد يشكرهم للعالم اسلامي لمد زؤلم السكون سابقا ولاحقا . هذه اعمال الروحانيين في قبال الاعداء الذين افاروا على الدين وسولت لهم انفسهم الحال فجدوا بتنصير المسلمين على ايدي المبشرين ولفقوا المفتريات على الدين الاسلامي واعابوه بها — فلم نر من المسلمين من قابل تلك الاعمال واظهر على الاقل مفتريات اولئك العتوس على الدين الاسلامي . اري الوفا من الصحف السيارة والكتب طافحة بالافتراء على الشريعة الاسلامية ولا اري كتابا واحدا يتكفل برد تلك المفتريات عدى كتاب رأيت تحت عنوان (الادلة العقلية على اشرفية الشريعة الحمديدية) لمؤلفه ابراهيم الراوى يستدل فيه على اشرفية الشريعة الاسلامية باشرفية معتنقيها على سائر الناس لان في جملتهم القادرية والرفاعية ولديهم معاجز تعجز البشر عن الاتيان بمثالها كضرب السكاكين والختاجر في ابدانهم دون ان يخرج الدم .

تقرير الدكتور ارنست جاك

عن جريدة جرمانى في ٥ فبراير ١٩١٢ ان الاعمال الوحشية والفظائع المدهشة التي اجراها البلقانيون والتي لم يسبق لها مثيل في جميع الحروب قد بلغت الفظائع البلقانية درجة ليست بعدها درجة فاذا كانت اوروبا المتمدنة تريد ان تكون لاقية لتوسيمها باسم المدنية وجب عليها ان لاتدع الاشتغال والتأمل في الفظائع البربرية التي ارتكبها جنود حكومات البلقان المتفقة .

كتب الدكتور شيان في مجلته الاسبوعية كروزياتنغ (جريدة الصليب) ان الدكتور ارنست جاك نشر كتابا تحت عنوان المانيا في الشرق بعد حرب البلقان ذكر فيه ما يأتى : الذى يشاهد ما هو جار فى مكدونيا يظن نفسه قرأنا هذه العبارات :

« فالذى يرتكبه البلغار في الوقت الحاضر يتجاوز سينات الاتراك بعشرات الذى يشاهد ما هو جار فى مكدونيا يظن نفسه



ضابط عثماني مثل به البلغاريون ثم ارسلوه الى المعسكر العثماني



في دور المهاجرة العمومية في القرون الاولى وان
طائفة الهون من البرابرة قد عادوا هذا اليوم
او يخال نفسه في ايام الحرب المذهبية (حرب
الثلاثين سنة) فالرجال الذين بقوا في القرى قتلوا
والنساء والبنات هتكتم اعراضهن والقرى
نهب واحرقت والحاصل فان النفوس التي

اسمح لكم بان تفعلوا بالمسلمين ما تشاؤون فهو لا
الضواري قتلوا في ظرف الاربعة والعشرين ساعة
١٢٠٠ وفي رواية اخرى ١٩٠٠ نسمة من
الأتراك .

وقال الميرالاي (وايت) ان البلغار حرقوا
جميع بيوت المسلمين من شطالجه الى ادرنة
وبعكس ذلك كانت تلك التقارير مصرحة بحسن
معاملة العثمانيين وابتمادهم عن كل ما يشين الشرف
العسكري والى ذلك اشار اليوزباشي (راين)
في تقاريره واني اذكر هنا بعض فقرات منها
وان الأتراك شعب ذو شرف وفضيلة وشجاعة
وختم تقريره بهذه العبارة وليسوا سوية في
المدنية الاوروبية ونؤمل ان هذا الشعب يجد
الفرصة اللازمة لان يجدد كيانه ويرتقي بحسب
قابليته ومزاياه الفطرية لانه شعب متدين وصادق
وذو شرف وشجاعة ثم اتى في آخر التقرير بهذه
الكلمة لبسارك « الأتراك هم نبلاء الشرق
الوحيدون » .

واى عار للنصرانية اعظم من ارتكاب جنائيات
وفظائع في حرب اعلنوا انها مقدسة ولا شك في ان
النصرانية الحقيقية التي هي عبارة عن بعض
تذكرات لم ياحقها عار وحقارة الى تاريخنا هذا
مثل الوصمة التي الصقتها بها وحوش البلقان وفي المدة
الاخيرة التي المسونسيور بوجان الواقف على
احوال البلقان محاضرة في الدين والحرب
البلقانية منذ حرب الثلاثين سنة (الحرب المذهبية)
لم تحدث حرب تاريخية لهم عامة الكون

تحت من السيف والمدفع افناها الجوع والبرد
ولكي لا يظن اني ابالغ في كلامي فلنأت ببعض
امثلة من تلك الاعمال: هتكتم بعض ضواري البلغار
في قرية بزوبو عرض ابنتين امام اعين والدهما فالوالدة
المسكنية من تأثرها قتلت اثنين من البلغار بالرصاص
فحينئذ ابتدأت الفجائع التي يعجز عن بيانها
القلم بالنتيجة . جمع البلغار نساء وبنات القرية
في قهوة وحرقوهن غير متأثرين من صراخهن
المفتت لا كباد . والا فضع من هذا ان عصابات
تبنو نيكولو ووده دوتشو البلغارية عمدوا الى
تلقين هذه الضحايا النصرانية قبل احراقها .
وقد دفنوا عشر بنات احياء في قرية اشكال
من اعمال قضاء قلايش .

وكتبت سيدة نمساوية مكتوباً الى اخيها
من قوائه قالت فيه : « حبس كثير من اهالي
البلدة واعيانها لاذنب لهم سوى انهم مسلمون
وقد حكم عليهم باحكام قاسية بدون دعوى وفي
نصف الليل ايقظوا هؤلاء من نومهم وربطوا
كل ثلاثة مجتمعين ثم انزال عليهم البلغار بضرب
السياط ووز الحراب كأنهم حيوانات وذلك بعد ان
نهبوا ملابسهم ولم يتركوا لكل استدالا القميص
وكان بين هؤلاء المحبوسين كثير من الاولاد
والشيوخ والنساء . قرر المسامون في محل سرز
الدفاع عن انفسهم وانشاء ذلك قتلوا جنديين
وحينئذ اخراج الضابط البلغاري ساعته
من جيبه وقال لاجنودها هي الان الساعة
الرابعة والى المساء الرابعة من نهار غد